تفسير آيات الصبر

عند الإمام الطاهر بن عاشور

المتوفى 1394هـ – 1973م

إعداد

عبد النبي بشار



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســـم الكتاب : تفسير آيات الصبر

عند الإمام الطاهر بن عاشور

المـــــــــؤلف : عبد النبي بشار

الطبعة الثانية 2011



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com



سماحة الأستاذ الإمام الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور

يا داعيا للنور

يا داعيا للنور والتنوير — ومجددًا للعلم بالتحرير
قدت العقول وقد أثرت — وعرفت بالإبداع يا ابن
شهد الجميع بأن فكرك عندهم — شمس الدجى فى العلم
أودعت فى التفسير علمًا نافعًا — وأجدت فى التعبير والتصوير
وبلغت فى النفس شأنًا عاليًا — وحظيت بالتكريم والتقدير
فعليك من رب الخلائق رحمة — ما لاح فجر فاضح بالنور

عبد النبي بشار

الإهداء

إلى روح أبي وأمي ...

صبر وعطاء بغير حدود

رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات .. وباسمه تتنزل البركات ، والصلاة والسلام على أشرف أهل الأرض والسموات، وعلى آله وأصحابه أولي المكرمات .. وبعد .

فقد وفق الله عز وجل بهديه وفضله وكرمه الشيخ / عبد النبي بشار .. فجد واجتهد . وعلى مولاه في جمع هذا الكتاب اعتمد .. فجمع فيه آيات الصبر فجاء بعناية الله مفيدًا للمستفيد .. غاية في الإحكام .. محرر الدلائل والأحكام، جعل الله عمله مقبولاً .. وسعيه مشكورا .. ووفاه أجره موفورا .. ونفع به النفع العميم .. وسهل له طريق الخير والإرشاد .. وهدى به من ضل من العباد .

فجزاه الله أحسن الجزاء .. ونفع به الملة السمحاء وحقق له القبول .. وأناله غاية المأمول .

الشيخ / أحمد محمد الشيخ

من علماء الأزهر الشريف

خطبة الكتاب

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له..

وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وعد الصابرين بأنه معهم وجعل لهم أموراً لم يجعلها لغيرهم.

قال تعالي: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ (1).

أعطاهم أجرا عظيما لا يحاط بمثله مقدار إلا ثواب الآخرة الذي لا يخطر علي قلب بشر وهذا مقام رفيع لا يصل إليه إلا من بلغ درجة عالية من الإيمان.

لقوله تعالي: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ (2). والصبر ملاك الهدي ، ويسهل اتباع الحق .

لقوله تعالي:﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (3). وجاء في السنة النبوية عن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (4).

---

(1) سورة البقرة آية رقم 157.

(2) سورة الزمر آية رقم 10.

(3) سورة الشورى آية رقم 43.

(4) رواه مسلم. انظر : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. تأليف الإمام أبي زكريا يحيي بن شرف النووي الدمشقي 631- 676 هـ تحقيق الأستاذ – محمد عصام الدين أمين صـــ24. (مكتبة الإيمان بالمنصورة).

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ :

قال: « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولاهَمّ ولا حزن ولا أذي ولا غم. حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه» [5]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ :

« مايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة» [6]

ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

«أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط [7] الإبل لكانت لذلك أهلا لا يرجون أحد منكم إلاّ ربه.

ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان. كالرأس من الجسد. و لا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه. [8].

(5) متفق عليه و« الوصب»: المرض كتاب رياض الصالحين صـ28.

(6)رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح.كتاب رياض الصالحين صـــ31.

(7) الآباط: جمع إبط. وضرب الآباط كناية عن شد الرحال وحث علي المسير.

(8)من مواعظ وحكم الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجه في كتابه (نهج البلاغة) ص551 وهو ما جمعه الشريف الرضي: هو أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسي بن محمد بن موسي بن إبراهيم بن موسي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وأمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم ابن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ولد الشريف الرضي في سنه تسع وخمسين وثلاثمائة. واشتغل بالعلم ففاق في الفقه والفرائض وبذَّ أهل زمانه في العلم والأدب.

وتوفي ﷺ في المحرم سنه أربع وأربعمائة ودفن في داره بمسجد الأنبار بالكرخ.

شرح الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا .

الناشر دار الفجر للتراث- القاهرة – 1426هـ - 2005م .

ويقول الله تعالي:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ (9)

والمراد بالذين صبروا : المؤمنون بالله لأن الصبر من مقارنات الإيمان.

وأصبحت أمنيتي أن أكتب في موضوع (الصبر) ومما شجعني كثيراً. قراءة آيات القرآن الكريم. وخاصة آيات الصبر وما يشتق منها.

ولأننا نعيش في ظل عالم متغير وسريع، وإجماع كبار علماء النفس علي أن القلق والمحن هي الغالبة في حياة الناس، والسعادة قليلة ومؤقتة.

لقوله تعالي: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴾ (10). والكبد هو النصب والمشقة ومكابدة الشدائد في هذه الحياة الدنيا. إذا هناك حياة أخرى أعدت لهذا الإنسان الذي كرمه ربه .

لقوله تعالي: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ (11)

وهذه الحياة الأخرى التي أعدت لهذا الإنسان الذي كرمه ربه هي الحياة الآخرة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر هي الحياة الخالدة. حياة الحق .

(9) سورة هود آية رقم 11.

(10) سورة البلد آية رقم 4 .

(11) سوره الإسراء آية رقم 70 .

لقوله تعالي: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [12] ومعني الحيوان حياة خالدة دائمة . ولأجل أن ينعم الإنسان بها لابد من العمل لها في هذه الحياة الدنيا وهو أن يقوم بعمل الخير الدائم وما أكثره؛ لأن الدنيا مهما طالت فهي إلى انتهاء لأنها كالخيال، والآخرة مهما بعدت فنحن جميعا معها إلي لقاء فهي الحق للخيال.

ومن أقوال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ:

يا دنيا يا دنيا إليك عني.أبي تعرضت ، أم إلي تشوقت : لاحان حينك [13]. هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وخيرك يسير وأملك حقير.آه من قلة الزاد. وطول الطريق. وبُعْد السفر. وعظيم المورد[14]. حينما انتهيت من قراءتها. وقفت أمامها بعقلي وقلبي . يعتصرني الحزن والألم. ووجدت أسئلة كثيرة تتزاحم في صدري فجأة أسئلة تصرخ وأسئلة تهمس وكلها تتجه في الطريق إلي الله . منها من الذي يمسح برحمته جراح الحياة؟ ومن الذي يسمع دعوات المظلومين فوجدت الله الأمل.

لأن الإنسان الصابر المؤمن الواثق من ربه يعرف يقينا أن الاختبار والابتلاء وما يعقبه من ألم وحزن وفراق كل هذا مؤقت، وإنما هو من الله وله التسليم والطاعة والحب..

---

(12) سورة العنكبوت آية رقم 64 .

(13) لاحان حينك : لجاء وقت وصولك لقلبي وتمكن حبك منه (كتاب نهج البلاغة) للإمام علي رضي الله عنه صـــ550 .

(14) المورد: موقف الورود على الله في الحساب.

لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ (15) وكلمة الصبر وما يشتق منها وردت في القرآن الكريم(16) أكثر من مائة مرة..

وقد ورد ذكرها في خمس وأربعين سورة (17)

ولم يرد ذكرها في تسع وستين سورة من القرآن الكريم حيث إن عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة .. فهذا التكرار له أهمية كبيرة في حياة الناس جميعا..وهو هدايتهم للصبر والعمل به فيه صلاح الناس كافة.

---

(15) سورة البقرة آية رقم 165.

(16) وعدد آيات القرآن = 6236 آية

وعدد كلمات القرآن = 77439 كلمة

وعدد حروف القرآن = 323015 حرفا

وعدد أجزاء القرآن = 30 جزءا

وعدد أحزاب القرآن = 60 حزبا

وعدد أرباع القرآن = 240 ربعا

وعدد السور المكية =85 سورة

وعدد السور المدنية = 29 سورة

وعدد النقط فوق حروف القرآن الكريم = 1025030نقطة

وعدد السور التي بدأت بالحروف المقطعة = 29 سورة

وعدد أعشار القرآن = 480 عشرا (لأن الربع به عشران)

انظر كتاب مع القرآن الكريم سين وجيم للأستاذ/ أحمد عبد العال الطهطاوي تحت عنوان (القرآن الكريم والأعداد) صـ44ـ مكتبه الصفا الطبعة الأولي 1425هـ-2004م

وأيضا كتاب ماذا تعرف عن القرآن والنبي ﷺ للأستاذ/ أحمد عبد العال الطهطاوي.. مكتبة الصفا الطبعة الأولي 1424هـ-2003م صـ14ـ وورد ذكر كلمة الصبر في القرآن 114مرة وهو من الإعجاز العددي في القرآن.

(17) السور التي ورد بها ذكر كلمه الصبر او ما يشتق منها في نهاية الكتاب.

وحين يقرؤون القرآن الكريم رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم .

لقوله تعالي: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [18] وفي رحاب الصبر أقدم هذا الكتاب ..

1- فهو به فهرس موضوع بترتيب سور وآيات القرآن الكريم التي يوجد بها كلمة (الصبر)

وما يشتق منها. ونص الآية. ورقهما. مع اسم السورة التي توجد بها. وكتابة رقم المجلد والجزء ورقم الصفحة في كتاب التفسير كما سيتضح إن شاء الله في نهاية الكتاب.

2- خارج الفهرس كتبت عنوانًا لكل آية في القرآن الكريم بها كلمة (الصبر) وما يشتق منها

والتي يندرج تحتها الشرح حتى لا تفوت الفائدة .

موضحا.صبر الرسل علي أذى قومهم. ولحظة يفوضون أمرهم إلى الله. يرون بوارق عنايته. وعجبا للذين اشتروا العذاب بالمغفرة.

والمؤمنون بصبرهم لبسواْ الحرير وسكنواْ الجنان.

أيها القارئ الكريم. يسعدني أن أضع بين يديك صبر الإيمان والعمل والانتفاع به لا صبر التسلية فالصبر مفتاح محامد الأخلاق والآداب والإنصاف من النفس. وهو خلق عظيم . ومن آية المؤمن الصبر علي الضراء والشكر علي السراء ..

إلهي . ألجأ إليك وأسالك الهداية والثواب والنفع فيما كتبت.

اجعله في ميزان حسناتي . اغفر لي إن زللت وأخطأت. ارزقني الإخلاص لخدمة كتابك أفضل ما نزل علي قلب سيدنا محمد ﷺ ، فهو خير ما يهدي للعالمين..

(18) سورة النحل آية رقم 89.

لماذا هذا التفسير؟

القارئ الكريم. التفاسير كثيرة منها...

تفسير الكشاف للزمخشري، والمحرر الوجيز لابن عطية ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير.

ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي. وتفسير البيضاوي . الملخص من الكشاف ومن مفاتيح الغيب بتحقيق بديع. وتفسير الشهاب الألوسى . وتفسير الإمام محمد بن جرير الطبري شيخ المفسرين .

وكتاب درة التنزيل المنسوب لفخر الدين الرازي. وربما ينسب للراغب الأصفهاني.

وما كتبه الخفاجي علي تفسير البيضاوي . وتفسير أبي السعود. وتفسير القرطبي.

وهناك تفاسير أخرى كثيرة ومهمة ولقصد الاختصار نكتفي وبتوفيق من الله كان اختياري تفسير «التحرير والتنوير للشيخ الأستاذ العلامة/ **محمد الطاهر بن عاشور».**.

ويرجع اختياري إلى هذا التفسير بالذات لعدة أسباب منها:-

أولا: بفتوح من الله وفهم لمعاني القرآن الكريم أتى بمسائل علمية مما لا يذكره المفسرون فيما لديه من التفاسير في تلك الآونة.

ثانيا: هو أقرب كتب الشيخ الطاهر إلي نفسه قضى في تأليفه حوالي أربعين سنة ومطبوع في اثني عشر مجلدا[19]، قدم له بعشر مقدمات بين فيها منهجه وأصول علم التفسير وما يمكن أن يتسلح به المتصدر لهذا العلم من معارف وعلوم .

ثالثا: فن دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين ... بكتاب كما خصوا الأفانين الأخري . من أجل ذلك التزم ألا يغفل التنبيه علي ما يلوح لسماحته من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن كلما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر .

(19) الناشر دار سحنون للنشر والتوزيع -15 مكرر . نهج هولندا (1000) تونس الجمهورية التونسية .

رابعا: لقد اهتم الإمام في هذا التفسير ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتم بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت منه قواميس اللغة . مما يجعل المطالع أن يحقق مراده ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده.

خامسا: يقول سماحته أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض فلا أراه حقا على المفسر [20] ..

سادسا: لم يغادر سورة من القرآن إلا بَيّن ما أحيط به من أغراضها؛ لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا علي بيان مفرداته ومعاني جمله كأنها فقرات متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله.

سابعا: كان من أصدقاء الإمام إلي نفسه : الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله قال عن الإمام:

للأستاذ فصاحة وغزارة علم ، وقوة نظر وصفاء ذوق مع صدق في اللهجة ونقاء في السريرة ، من كل خاطئ سيئ انظرواْ إلي هذه الصفات مع طموح وجد في العمل ومحافظة على واجبات الدين وآدابه ..

وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم . الرجلان أصبح لكل منهما أعلى منصب ديني هذا شيخ الجامع الأعظم بتونس وذاك شيخ الجامع الأزهر في مصر..

ثامنا: قال عنه الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي رحمه الله .. هو رجل القرآن الكريم، وإمام الثقافة الإسلامية المعاصرة ولكنه لم يأخذ حظه..

لذلك نري اليوم العديد من الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي تسعى إلى تحقيق كتبه والعمل على نشرها ..

تاسعا: وأهم مميزات الشيخ البارزة في كتبه : هي التحقيق الدقيق للمسائل التي يكتب فيها، الشيء الذي يجعل من تلك الكتب مرجعا ثمينا للعلماء والطلبة وهذه الميزة قلما تكون في المتكلمين عن الإسلام سواء كانوا من أبنائه أو أعدائه .

(20)من تفسير التحرير والتنوير (تمهيد) صــ 8.

عاشرا: يلوح لي أن هذا التفسير يعالج فكراً عصرياً متميزاً وملمحاً فريداً عميقاً جديداً يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي والعلوم الشرعية والمسائل العلمية والثقافة العصرية المستنيرة والهادفة إلي المعاني السامية إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويعد من أهم التفاسير التي صدرت في المكتبة العربية والإسلامية إن لم يكن أهمها على الإطلاق .

وأتمنى أن يكون دافعا للدارسين والباحثين لتكملة السير والكشف عن الدرر لهؤلاء العلماء لإخراج صفحات تراثنا الخالد إلي النور ..

وحينما قرأت هذا التفسير رأيت نفسا زكية طاهرة، وقلباً صافيا، وعقلا نورانيا

وبصيرة ملهمة وحكمة بالغة .

إنها فطرته الطاهرة التي فطر الله الناس عليها بقدرته وإرادته تتناغم مع اسمه ليعيش في ساحة الحمد والرضا والطهر والتمسك بأركان دين الإسلام في رحاب سنة سيدنا محمد ﷺ .. نراها واضحة جلية عندما يشرح ويحلل الروايات ولا يكتفي بنقلها بل يناقش ما كان قابلا للنقاش بالحجة والمنطق والدليل وموضحا الجانب البلاغي في القرآن الكريم حيث برع في إبراز دلائل الكلمات في القرآن مستخرجا ما تتضمنه من دقائق ولطائف بيانية ..

وعند توصيل المعلومة للمطالعين الكرام تصل بأسلوب رقيق رائع الجمال تصغي لها القلوب قبل الآذان محققة الفوائد والمراد علي قدر المستطاع ..

لقد بذل الإمام ابن عاشور جهدا كبيرا في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت منها التفاسير الأخرى ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير..

وسماه «تحرير المعني السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد »

واختصر هذا الاسم باسم التحرير والتنوير من التفسير ..

وبكل دقة وأمانة وبكل دراية وروية، وبغير إخلال ولا تقصير نقلت تفسير الآيات من تفسير التحرير والتنوير. تفسير سماحة الأستاذ الإمام الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور [21].

أراه جبلاً أشم، وبحراً في تفسير كتاب الله ، فأردت أن أسبح في بحر علمه، وبيانه وبلاغته . وأطّلع في دروبه وممراته اطلاع المعرفة والتعلم هائما بنور المعاني والبيان وأحرف القرآن أفضل ما نزل علي قلب سيدنا محمد ﷺ فهو خير ما يهدي للعالمين.

---

(21) محمد الطاهر بن عاشور (تونس 1296هـ -1879م- 1394هـ /1973م) عالم وفقيه تونسي أسرته منحدرة من الأندلس ترجع أصولها إلي أشراف المغرب الأدارسة .. تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته . =

= كان على موعد مع لقاء الإمام محمد عبده في تونس عندما زارها الأخير في رجب 1321هـ الموافق 1903م سمي حاكما بالمجلس المختلط سنة 1909 م اختير لمنصب شيخ الإسلام المالكي.

ولما حذفت النظارة العلمية أصبح أول شيخ لجامعة الزيتونة. وأبعد عنها لأسباب سياسية ليعود إلي منصبه سنة 1945 .. وظل بها إلي ما بعد استقلال البلاد التونسية سنة 1956 من أشهر أقرانه الذين رافقهم في جامعة الزيتونة شيخ الأزهر الراحل / محمد الخضر حسين . ومنصور أبو زبيدة الفيتوري أحد أهم علماء ليبيا..

من آثاره:

1	التحرير والتنوير في تفسير القران	7	نقد لكتاب الإسلام ونظم الحكم
2	اصول الإنشاء والخطابة	8	شرح لمقدمة المرزوقي لشرح ديوان الحماسة
3	موجز علم البلاغة	9	شرح قصيدة الاعشي
4	أليس الصبح بقريب	10	ديوان تحقيق بشار مقدمة وتحقيق
5	أصول النظام الاجتماعي في الإسلام	11	الواضح في مشكلات شعر المتنبي البسمة
6	الوقف وآثاره في الإسلام	12	مقاصد الشريعة الإسلامية

موقع جامع الزيتونة :: (http://www.ezzitouna.org/001_3.html)

فجزى الله الإمام محمد الطاهر بن عاشور خير الجزاء . وأجزل له الثواب والعطاء قدر ما بذل من جهد ومشقة. ونفع الله به عباده .

إنه سبحانه نعم المجزي والمعطي .

ونسأل الله عز وجل أن يتغمده برحمته ورضوانه..

وأن يحشره وأن يحشرنا معه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

ذلك الفضل من الله وكفي بالله عليما..

جزء من سيرة العالم الكبير

سنحاول بإذن الله التعريف ببعض من سيرة عالم كبير: هو علم الإسلام والمسلمين ومنارة الإصلاح والمصلحين. ومفسر من مفسري كتاب الله في عصرنا ألا هو فضيلة الشيخ الأستاذ العلامة محمد الطاهر بن عاشور [22] . رحمه الله .. وأقول:-

نشأته : عائلة ابن عاشور ذات أصل أندلسي استوطنت بعد خروجها من الأندلس. شمال المغرب الأقصى .

ثم انتهى بها المطاف إلى الاستقرار في مدينة تونس حيث عرفت كأسرة مشتغلة بالعلم والدين.

مولده : ولد الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور سنه 1879م بقصر جده لأمه الوزير محمد العزيز بوعتور في المرسي، ونشأ في بيت والده قاضي قضاة تونس في بيئة يغلب عليها التدين والعلم .

وكانت البداية مع حفظ كتاب الله، فأتم حفظه في سنينه الأولى .

ولو راجعنا تاريخ كل علماء المسلمين ومصلحيهم لوجدنا أن بدايتهم مع حفظ القرآن الكريم، ونعم البداية، هي لقد جاء في الحكم ((من أشرقت بدايته أشرقت نهايته)ونحن الآن شديدو الغفلة عن هذه النقطة التي كانت أول ما يحرص عليه أسلافنا .

وآن الأوان لإعطاء هذه المسألة ما تستحق من الاهتمام، فلنبعث بأطفالنا إلى الكتاتيب ليتعلموا كتاب الله حفظا وقراءة.

فقد روى أبو داود في سننه بسنده إلى النبي ﷺ قال : « من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجاً ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ».

(22) موقع جامع الزيتونة: http://www.ezzitouna.org/001_3.html

وحفظ الشيخ المتون العلمية والتي تكون في شكل أراجيز وأشعار تلخص تلخيصا دقيقا قواعد اللغة العربية. والمسائل الفقهية مثل ألفية ابن مالك ومتن ابن عاشور وغيرها. وكل هذا يوفر للطالب أساسا دينيا ولغويا صلبا لا بأس بعده من الاطلاع على الثقافات الأخرى.

وأتقن الشيخ اللغة الفرنسية مما مكنه بعد ذلك من أن يقرأ لأشهر كتاب أوروبا والرد على بعض أفكارهم بلغتهم.

وكان أثناء دراسته مقبلا بشدة علي مطالعة أمهات الكتب ودواوين العلوم مشتغلا بالبحث في المسائل المختلفة، وبعد حصوله علي التطويع عاد إلي حضور دروس شيوخه الذين أجازوه وشهدوا له بالتفوق والنبوغ وخاصة منهم الشيخ محمد النخلي الذي ربي فيه نبذ التقليد.

والشيخ الجليل «سالم بو حاجب» الذي عمق فيه الميل إلي التجديد والإصلاح، كما استفاد منه الأدب والعلم انتبهوا هنا إلى الاقتران العجيب والضروري بين العلم والأدب ولطول ملازمته لهذين الشيخين شب رحمه الله ميالاً إلى الفكر الإصلاحي الذي ركز أسسه في تونس (خير الدين التونسي وجماعته) ومن رواد الفكر الإصلاحي في العالم الإسلامي الإمام «محمد عبده» الذي زار تونس مرتين الأولى وشيخنا صغير السن . والثانية سنة 1903م وشيخنا شاب

فقابله وحاوره واستفاد من زيارته سعة علم الشيخ ونبوغه وميوله الإصلاحية جعلت بواكير إنتاجه رائعة إذ ألف وهو في الثامنة والعشرين من عمره كتابا سماه((أليس الصبح بقريب)) بين فيه أسباب تأخير التعليم في بلاد المسلمين وحدد فيه بدقة عجيبة سبل تطوير نظم التعليم، كتب هذا الكتاب سنه 1907م لكنه لم ينشره إلا في الستينيات وبرر ذلك بالظروف غير المواتية.

الرتب العلمية والإدارية للشيخ:

ارتقى الشيخ في الرتب العلمية والإدارية:

- فعين سنة 1917م قاضيا للجماعة المالكية.

- وفي سنة 1923م كان مفتيا للديار التونسية.

- وفي سنة 1932م عين شيخ الإسلام المالكي.

- كما عين شيخا لجامع الزيتونة مرتين آخرها من 1944 إلى الاستقلال.

ولما أنشأت كلية الشريعة عين أول عميد لها . حتى بداية التسعينيات كل تلك المسؤوليات لم تمنعه من التأليف والتصنيف . ألف أربعين كتابا في التفسير، والمقاصد والسير واللغة، والأدب.

هذا دون اعتبار البحوث والمقالات في الصحف والمجلات ، المهتمة بالشئون الإسلامية في تونس وخارجها .

أهم كتب الشيخ الطاهر: وأقربها إلي نفسه هو ذلك الذي قضي في تأليفه حوالي أربعين سنة الذي به تفسير للقرآن الكريم والمسمى بـ «التحرير والتنوير» والمطبوع في اثني عشر جزءاً قدم له

بعشر مقدمات بين فيها منهجه وأصول علم التفسير وما يمكن أن يتسلح به المتصدر لهذا العلم من معارف وعلوم، وغيرها وهذه المقدمات أشبعت درسا من طرف العلماء، بل اتخذها بعضهم مواضيع لدروس المساجد نظمت لأشهر دروس مسترسلة بعد الظهر وقبل العشاء في بعض مساجد المدينة المنورة موضوعها مقدمات ابن عاشور في التفسير .

ويمكن أن تستنتج منها أن أي إنسان لا يمكن له أن يتحدث في تفسير القرآن وهو خالي الوفاق من تكوين يرى الشيخ الطاهر امتلاكه ضروريا لأي مفسر لكتاب الله بعد تلك المقدمات يبدأ بتفسير سور القرآن حسب ترتيب المصحف، فيقدم للسورة بذكر وجه تسميتها وترتيبها في النزول..

ثم بعد ذلك يعرض أغراضها والموضوعات التي تعرضت لها، ثم يبين سياق الآيات وترابط مواضيعها فيبرزها كنسيج واحد كما يهتم بالقراءات فيذكرها ويستخلص من ذلك معان، ثم يتعرض إلي أسباب النزول ويستعين به علي فهم الآية دون الإكثار من الرواية عن النبي ﷺ أو الصحابة إلا إذا كان في ذلك ترجيح لمعني علي معني ولا يكتفي بنقل الروايات بل يشرح ما كان قابلا للنقاش وقد اهتم رحمه الله بإبراز الجانب البلاغي في القرآن الكريم فبرع في إبراز دلائل الكلمات في القرآن مستخرجا منها ما تتضمنه من دقائق ولطائف بيانية .

كما يتعرض إلى الإعجاز العلمي دون أن يجعله أساسا في تفسيره مع الحرص علي إظهار الآداب والمعاني التي فيها تربية وتهذيب النفوس لأن ذلك من وظائف القرآن الأولى. وهو أقل المفسرين على الإطلاق وقوعا في الإسرائيليات التي كان يصفها بالخرافات أما مصادره فقد اعتمد علي أغلب التفاسير القديمة وخاصة الزمخشري وابن عطية مع مناقشة أقوالهم وردها أحيانا.

وفي سنة 1973 توفي الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور عن سن أربع وتسعين سنة تقبله الله برحمته وأسكنه فسيح جناته تاركا الأثر الكبير علميا وأدبيا علي الكثير من معاصريه.

الصبر ملاك الهدي

قال الله تعالى:﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[23] هذا خطاب لبني إسرائيل في الإرشاد إلي ما يعينهم علي التخلق بجميع ما عدد لهم من الأوامر والنواهي الراجعة إلي التحلي بالمحامد والتخلي عن المذمات.

فإنهم لما خوطبوا للترغيب والترهيب والتنزيه والتشويه.. ظن بهم أنهم لم يبق في نفوسهم مسلك للشيطان ولا مجال للخذلان وأنهم أنشئوا يتحفزون للامتثال إلا أن ذلك الألف القديم يثقل أرجلهم في الخطو إلي هذا الطريق القويم فوصف لهم الدواء الذي به الصلاح. فالأمر بالاستعانة بالصبر لأن الصبر ملاك الهدي .

فإن مما يصد الأمم عن اتباع دين قويم إلفهم بأحوالهم القديمة وضعف النفوس عن تحمل مفارقتها فإذا تزرعوا بالصبر سهل عليهم اتباع الحق..

وأما الاستعانة بالصلاة فالمراد تأكيد الأمر بها فالذي في..

قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

وهذا إظهار لحسن الظن بهم وهو طريق بديع من طرق الترغيب.. ومن المفسرين من زعم أن الخطاب في..

قوله تعالى:﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ للمسلمين على وجه الانتقال من خطاب إلى خطاب آخر . وهذا وَهْمٌ لأن وجود حرف العطف ينادي على خلاف ذلك

(23) سورة البقرة الآيات (45-47) وانظر المجلد الأول ، من التفسير صــ 477 .

ولأن قوله تعالى:﴿ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ مراد به إلا على المؤمنين.. حسبما بينه قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾

اللهم إلا أن يكون من الإظهار في مقام الإضمار، وهو خلاف الظاهر مع عدم وجود الداعي.

والذي غرهم بهذا التفسير توهم أنه لا يؤمر بأن يستعين بالصلاة من لم يكن قد آمن بعد وأي عجب في هذا ؟؟؟ وقريبا منه آنفا

قوله تعالي :﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ خطاب لبني إسرائيل لا محالة .

والصبر عرفه الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين ((بأنه ثبات باعث الدين في مقابله باعث الشهوة))

وهو تعريف خاص بالصبر الشرعي صالح لأن يكون تفسيرا للآية لأنها في ذكر الصبر الشرعي.

وأما الصبر من حيث هو الذي وصف كمال فهو عبارة عن احتمال النفس أمراً لا يلائمها إما لأنه ماله ملائم، أو لأن عليه جزاء عظيما . فأشبه ما ليس له ملائم ..أو لعدم القدرة علي الانتقال عنه إلي غيره مع تجنب الجزع والضجر.

فالصبر احتمال وثبات علي ما لا يلائم ، وأقل أنواعه ما كان عن عدم المقدرة .

ولذا ورد في الصحيح من حديث رسول الله ﷺ

((إنما الصبر عند الصدمة الأولي)) أي الصبر الكامل هو الذي يقع قبل العلم بأن التقصي (البُعْد) عن ذلك الأمر غير ممكن، وإلا فإن الصبر عند اعتقاد عدم إمكان التقصي إذا لم يصدر منه ضجر وجزع هو صبر حقيقة (الحصر) في قول رسول الله ﷺ ((إنما الصبر)) حصر ادعائي للكمال كما في قولهم (أنت الرجل)

والصلاة أريد بها هنا معناها الشرعي في الإسلام وهي مجموع محامد لله تعالى قولا وعملا واعتقادا..

فلا جرم إن كانت الاستعانة المأمور بها هنا راجعة لأمرين (الصبر والشكر) وقد قيل : أن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر.. كما في الإحياء وهو قول حسن.

ومعظم الفضائل ملاكها الصبر إذ إن الفضائل تنبعث عن مكارم الخلال والمكارم راجعة إلي قوة الإرادة وكبح زمام النفس عن الإساءة في شهواتها بإرجاع القوتين الشهوية والغضبية عما لا يفيد كمالا أو عما يورث نقصانا.

فكان الصبر ملاك الفضائل .فما التحلم والتكرم والتعلم والتقوى والشجاعة والعدل والعمل في الأرض ونحوها إلاّ من ضروب الصبر، ومما يؤثر عن علي رضي الله عنه قوله :: ((الشجاعة صبر ساعة)) .

وقال زفر بن الحارث الكلابي يعتذر عن انهزام قومه :-

سقيناهم كأسا سقونا بمثلها... ولكنهم كانوا علي الموت أصبرا.

وحسبك بمزية الصبر أن الله جعله مكمل سبب الفوز في قوله تعالي:-

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ .

وقال هنا :﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾

وقال الغزالي : ذكر الله الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً.

وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إلي الصبر وجعلها ثمرة له.

فقال عز من قائل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ﴾ وقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾

وقال﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ .

***

بنو إسرائيل كرهواْ نعمة الله ولم يصبرواْ عليها فأمرهم بالسعي لأنفسهم ..

قال الله تعالي :﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾- الآية 61 من سورة البقرة.

هي معطوفة علي الجمل قبلها بأسلوب واحد . وإسناد القول إلي ضمير المخاطبين جارٍ علي ما تقدم في نظائره وما تضمنته الجمل قبلها هو من تعداد النعم عليهم .. محضة أو مخلوطة بسوء شكرهم وبترتيب النعمة علي ذلك الصنيع بالعفو ونحوه .

فالظاهر أن يكون مضمون هذه الجملة نعمة أيضا.. وللمفسرين حيرة في الإشارة إليها.

فيؤخذ من كلام الفخر الرازي أن قوله تعالى: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾.

هو كالإجابة لما طلبوه : يعني (والإجابة إنعام) ولو كان معلقا علي دخول قرية من القري ولا يخفي أنه بعيد جدا(24).

لإن إعطاءهم ما سألوه لم يثبت وقوعه...ويؤخذ من كلام المفسرين الذي صدر الفخر بنقله .. ووجه عبد الحكيم أن سؤالهم تعويض المن والسلوى بالبقل ونحوه معصية لما فيه من كراهية النعمة التي أنعم الله بها عليهم إذ عبروا عن تناولها «بالصبر» والصبر هو حمل النفس علي الأمر المكروه..

(24) المجلد الأول ، الجزء الأول صـ 521.

ويدل ذلك أنه أنكر عليهم.. بقوله ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ فيكون محل النعمة هو الصفح عن هذا الذنب .. والتنازع معهم إلي الإجابة..

بقوله تعالي ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ ولا يخفي أن هذا بعيد..

إذ ليس في قوله تعالي ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ إنعام عليهم..

ولا في سؤالهم ما يدل علي أنهم عصوا لأن طلب الانتقال من نعمة لغيرها لغرض معروف لا يعد معصية كما بينه الفخر الرازي.

فالذي عندي في تفسير الآية : أنها انتقال من تعداد النعم المعقبة بنعم أخري إلي بيان سوء اختيارهم في شهواتهم والاختيار دليل عقل اللبيب .. وإن كان يختار مباحاً مع ما في صيغة طلبهم من الجفاء وقلة الأدب مع الرسول ومع المنعم : إذ قالواْ لن نصبر فصبرواْ عن تناول المن والسلوى بالصبر المستلزم الكراهية ..وأتواْ بما دل عليه (لن) في حكاية كلامهم من أنهم لا يتناولون المن والسلوى من الآن، فإن (لن) تدل علي استغراق النفي لأزمنة (فعل نصبر) من أولها إلي آخرها وهو معني التأبيد.

وفي ذلك إلجاء لموسي عليه السلام أن يبادر بالسؤال يظنون أنهم أيأسوه من قبول المنّ والسلوى بعد ذلك الحين . فكان جواب الله لهم في هذه الطلبة أن قطع عنايته بهم وأهملهم ووكلهم إلي نفوسهم ولم يُرهم ماعودهم من إنزال الطعام وتفجير العيون بعد فلق البحر وتظليل الغمام بل قال لهم ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ ، فأمرهم بالسعي لأنفسهم وكفي بذلك تأديبا وتوبيخا .

قال الشيخ ابن عطاء الله رحمه الله : من جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه ، فيقول لو كان في هذا إساءة لعوقبت . فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر، ولو لم يكن إلا منع المزيد وقد يقام مقام البعد من حيث لا يدري . ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد.

والقصد من هذا أن ينتقل من تعداد النعم إلي بيان تلقيهم لها بالاستخفاف.. لينتقل من ذلك إلي ذكر انقلاب أحوالهم وأسباب خذلانهم وليس شئ من ذلك بمقتضي كون السؤال معصية .

فإن العقوبات الدنيوية وحرمان الفضائل ليست من آثار خطاب التكليف ولكنها من أشياء خطاب الوضع ترجع إلي ترتب المسببات علي أسبابها، وذلك من نواميس نظام العالم وإنما الذي يدل على كون المجزي عليه معصية هو العقاب الأخروي وبهذا زالت الحيرة واندفع كل إشكال وانتظم سلك الكلام.

***

الصابرون في معية الله

قال الله تعالي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴾ الآيات 153 و154من سوره البقرة .. (25)

افتتح الكلام بالنداء لأن فيه إشعاراً بخبر مهم عظيم . فإن شأن الأخبار العظيمة التي تهول المخاطب أن يقدم قبلها ما يهيئ النفس لقبولها لتستأنس بها قبل أن تفاجئها فالوجه في تفسير هذه الآية أنه تهيئة للمسلمين للصبر علي شدائد الحرب وتحبيب الشهادة إليهم .

ولذلك وقع التعبير بالمضارع في قوله تعالي: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢ ﴾

المشعر بأنه أمر مستقبل وهم الذين قتلوا في موقعة بدر بعد نزول هذه الآية ..

وقوله تعالي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ تذييل في معني التعليل أي : اصبروا ليكون الله معكم لأنه مع الصابرين..

***

(25) المجلد الأول ، الجزء الثاني صـ 52.

كل الخير للصابرين

قال الله تعالي: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الآية رقم 155 من سورة البقرة .. [26].

جملة ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ معطوفة علي ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ والخطاب للرسول ﷺ .. لمناسبة أنه ممن شمله قوله تعالي : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم ﴾ وهو عطف إنشاء علي خبر .. ولا ضمير فيه عند من تحقق أساليب العرب ورأي في كلامهم كثرة عطف الخبر علي الإنشاء وعكسه وأفيد مضمون الجملة الذي هو حصول الصلوات والرحمة والهدي للصابرين بطريقة التبشير علي لسان الرسول تكريماً لشأنه وزيادة في تعلق المؤمنين به بحيث تحصل خبراتهم بواسطته فلذلك كان من لطائف القرآن إسناد البلوى إلى الله بدون واسطة الرسول ﷺ وإسناد البشارة بالخير الآتي من قبل الله إلى الرسولﷺ.

والكلام على الصبر وفضائله تقدم في قوله تعالي: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ووصف الصابرين بأنهم الذين إذا إصابتهم مصيبة قالوا:

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ لإفادة أن صبرهم أكمل صبر إذ هو صبر مقترن ببصيرة في أمر الله تعالى إذ يعلمون عند المصيبة أنهم ملك الله تعالى يتصرف فيهم كيف يشاء فلا يجزعون مما يأتيهم .

(26) المجلد الأول ، الجزء الثاني صـ 125.

ويعلمون أنهم صائرون إليه فيثيبهم علي ذلك فالمراد من القول هنا القول المطابق للاعتقاد.

إذ الكلام إنما وضع للصدق وإنما يكون ذلك القول معتبرا إذا كان تعبيرا عما في الضمير فليس لمن قال هذه الكلمات بدون اعتقاد لها فضل، وإنما هو كالذي ينعق بما لا يسمع.

وقد علمهم الله هذه الجامعة لتكون شعارهم عند المصيبة، لأن الاعتقاد يقوي بالتصريح .

ولأن استحضار النفس للمدركات المعنوية ضعيف يحتاج إلي التقوية بشيء من الحس، ولأن في تصريحهم بذلك إعلانا لهذا الاعتقاد وتعليماً للناس .

***

عجبا للذين اشتروا العذاب بالمغفرة

قال الله تعالي : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ الآية 175 من سوره البقرة .. [27]

قوله تعالي: ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ تعجب من شدة صبرهم على عذاب النار ولما كان شأن التعجب أن يكون ناشئا عن مشاهدة صبرهم علي العذاب وهذا الصبر غير حاصل في وقت نزول هذه الآية بني التعجب علي تنزيل غير الواقع منزلة الواقع لشدة استحضار السامع إياه بما وصف به من الصفات الماضية .

وهذا من طرق جعل المحقق الحصول في المستقبل بمنزلة الحاصل .. ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وتنزيل المتخيل بمنزلة المشاهد ..

لقول زهير:

تصبر خليلي هل ترى من ظعائن... تحملنا بالعلياء من فوق حرثم .

بعد أن ذكر أنه وقف بالدار بعد عشرين حجة.

***

(27) المجلد الأول ، الجزء الثاني صـــ 125.

الصبر فيه جميع الفضائل

قال الله تعالي: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الآية رقم 177 من سورة البقرة.. (28)

ذكر الصابرين في البأساء لما في الصبر من الخصائص التي ذكرناها عند

قوله تعالي: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، ثم ذكر مواقعه التي لا يعدوها وهي حالة الشدة وحالة الضر وحالة القتال..

فالبأساء والضراء اسمان علي وزن فعلاء وليسا وصفين إذ لم يسمع لهما أفعل مذكرا ..

والبأساء مشتقة من البؤس وهو سوء الحالة من فقر ونحوه من المكروه .

قال الراغب : وقد غلب في الفقر ومنه البئيس الفقير . فالبأساء الشدة في المال . والضراء شدة الحال علي الإنسان.. مشتقة من الضر ويقابلها السراء وهي ما يسر الإنسان من أحواله . والبأس النكاية والشدة في الحرب ونحوها كالخصومة ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾(29)..

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾(30)والشر أيضا بأس والمراد به هنا الحرب .

(28) المجلد الأول ، الجزء الثاني صـ 127.

(29) سورة النمل الآية 33.

(30) سورة الحشر الآية 14.

فلله هذا الاستقراء البديع الذي يعجز عنه كل خطيب وحكيم غير العلام الحكيم وقد جمعت هذه الخصال جماع الفضائل الفردية والاجتماعية الناشئ عنها صلاح أفراد المجتمع من أصول العقيدة وصالحات الأعمال.

فالإيمان وإقام الصلاة هما منبع الفضائل الفردية؛ لأنهما ينبثق عنهما سائر التحليات المأمور بها .

والزكاة وإيتاء المال أصل نظام الجماعة صغيرها وكبيرها . والمواساة تقوي الأخوة والاتحاد وتسدد مصالح للأمة .

والوفاء بالعهد فيه فضيلة فردية وهي عنوان كمال النفس وفضيلة اجتماعية وهي ثقة الناس بعضهم ببعض.

والصبر فيه جماع الفضائل وشجاعة الأمة ولذلك قال الله تعالي هنا:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾، فحصر فيهم الصدق والتقوى حصراً ادعائيا للمبالغة .

ودلت علي أن المسلمين قد تحققت فيهم معني البر .

وفيه تعريض بأن أهل الكتاب لم يتحقق فيهم لأنهم لم يؤمنوا ببعض الملائكة وبعض النبيين، ولأنهم حرموا كثيراً من الناس حقوقهم ولم يفوا بالعهد ولم يصبروا ..

وفيها أيضا تعريض للمشركين إذ لم يؤمنوا باليوم الآخر والنبيين والكتاب وسلبوا اليتامى أموالهم ولم يقيموا الصلاة ولم يؤتوا الزكاة .

نصرهم الله بصبرهم

قال الله تعالي : ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الآية رقم 249 من سورة البقرة.. [31]

كما في قوله تعالى : ﴿كَم مِّن فِئَةٍ﴾ خبرية لا محالة إذ لا موقع للاستفهام فإنهم قصدوا بقولهم هذا تثبيت أنفسهم وأنفس رفاقهم، ولذلك دعوا إلي ما به النصر وهو الصبر والمتوكل ..

فقالوا ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾..

و الفئة الجماعة من الناس مشتقة من الفيء وهو الرجوع لأن بعضهم يرجع إلي بعض ومنه سميت مؤخرة الجيش فئة ..

***

(31)المجلد الأول ، الجزء الثاني صــ 495.

لا يُطْلَب الصبر إلا من الله

قال الله تعالي : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾.الآية رقم 250 من سورة البقرة.. [32]

قوله تعالي ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾ وهذا ادعاؤهم حين اللقاء بطلب الصبر من الله وعبروا عن إلهامهم إلي الصبر بالإفراغ استعارة لقوة الصبر..

(32) المجلد الأول ، الجزء الثاني صـ 495.

فعل الطاعات أصلها الصبر

قال الله تعالي : ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٦ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ الآيات 16و17من سورة آل عمران .. [33]

قوله تعالي : ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ الآية صفات للذين اتقوا أو صفات للذين يقولون . والظاهر الأول ..

وذكر هنا أصول فضائل صفات المتدينين : وهي الصبر الذي هو ملاك فعل الطاعات وترك المعاصي ، والصدق الذي هو ملاك الاستقامة وبث الثقة بين أفراد الأمة.

و القنوت.. وهو ملازمة العبادات في أوقاتها وإتقانها وهو عبادة نفسية جسدية والإنفاق وهو أصل إقامة أود الأمة بكفاية حاجة المحتاجين وهو قربة مالية والمال شقيق النفس . وزاد الاستغفار بالأسحار وهو الدعاء والصلاة المشتملة عليه في أواخر الليل والسحر سدس الليل الأخير؛ لأن العبادة فيه أشد إخلاصا لما في ذلك الوقت من هدوء النفوس، ولدلالته علي اهتمام صاحبه بأمر آخرته فاختار له هؤلاء الصادقون آخر الليل لأنه وقت صفاء السرائر والتجرد عن الشواغل .

(33) المجلد الثاني ، الجزء الثالث صـــ 183

وعطف الصفات في قوله ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ وما بعده : سواء كان قوله ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ صفة ثانية . بعد قوله ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ أم كان ابتداء الصفات بعد البيان طريقة ثانية من طريقتي تعداد الصفات في الذكر في كلامهم فيكون بالعطف وبدونه مثل تعدد الأخبار والأحوال.

إذاً ليست حروف العطف بمقصورة على تشريك الذوات.

***

بالحذر والصبر لا يضرنا أذى عدونا

قال الله تعالي : ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ الآية 120 من سورة آل عمران .. [34]

هنا أرشد الله المؤمنين إلي كيفيه تلقي أذى العدو بأن يتلقوه بالصبر والحذر . وعبر عن الحذر بالاتقاء أي اتقاء كيدهم وخداعهم وقوله تعالي:

﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ أي بذلك ينتفي الضر كله؛ لأنه أثبت في أول الآيات أنهم لا يضرون المؤمنين إلا أذى .

فالأذى ضر خفيف فلما انتفي الضر الأعظم الذي يحتاج في دفعه إلي شديد مقاومة من قتال وحراسة وإنفاق كان انتفاء ما بقي من الضر هينا . وذلك بالصبر على الأذى إلى ما يوصل ضراً عظيماً .وفي الحديث:

((لا أحد أصبر علي أذى يسمعه من الله يدعون له ندا وهو يرزقهم)) ..

***

(34) المجلد الثاني ، الجزء الرابع صـ 68

تتنزل الملائكة لنصرة المؤمنين بالصبر والتقوى

قال الله تعالي: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ الآيات رقم 123و124و125 من سورة آل عمران.. (35)

وقد جاء في سورة الأنفال عند ذكر موقعة بدر أن الله وعدهم بمدد من الملائكة عدده ألف بقوله تعالي : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ وذكر هنا أن الله وعدهم بثلاثة آلاف ثم صيرهم إلي خمسة آلاف . فما وجه الجمع بين الآيتين؟

وجه الجمع بين الآيتين أن الله وعدهم بألف من الملائكة وأطمعهم بالزيادة بقوله مردفين .. أي مردفين بعدد آخر ودل كلامه هنا على أنهم لم يزالوا وجلين من كثرة عدد العدو فقال لهم النبي ﷺ :

(35) المجلد الثاني ، الجزء الرابع صــ 72 .

﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ أراد الله بذلك زيادة تثبيتهم ثم زادهم ألفين إن صبروا واتقوا وهذا الوجه تفسير الجمهور وهو الذي يقتضيه السياق.

وقد ثبت أن الملائكة نزلوا يوم بدر لنصرة المؤمنين وشاهد بعض الصحابة طائفة منهم . وبعضهم شهد آثار قتلهم رجالا من المشركين .

ووصف الملائكة بمنزلين لدلالة علي أنهم ينزلون إلي الأرض في موقع القتال عناية بالمسلمين قال الله تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[36] .

---

(36) سورة الحجر الآية 8.

الصبر في الجهاد يجلب النصر

قال الله تعالي : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الآية رقم 142 من سورة آل عمران .. [37]

عقب هذا النفي بقوله ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ معطوف بواو المعية فهو في معني المفعول معه..

لتنظيم القيود بعضها مع بعض..فيصير المعني .. أتحسبون أن تدخلوا الجنة في حال انتفاء علم الله بجهادكم مع انتفاء علمه بصبركم أي أحسبتم أن تدخلواْ الجنة ولما يجتمع العلمان ..

والجهاد يستدعي الصبر . لأن الصبر هو سبب النجاح في الجهاد..وجالب الانتصار..

وقد سئل علي ﷺ عن الشجاعة فقال صبر ساعة ..

وقال زفر ابن الحارث الكلابي : يعتذر عن انتصار أعدائهم عليهم :

سقيناهم كأسا سقونا بمثلها .... ولكنهم كانوا على الموت أصبرا..

وقد تسبب في هزيمة المسلمين يوم أحد ضعف صبر الرماة. وخفتهم إلي الغنيمة .

وفي الجهاد يتطلب صبر المغلوب علي الغلب حتي لا يهن ولا يستسلم ..

***

(37) المجلد الثاني ، الجزء الرابع صـ 105 .

أصحاب الرسل والأنبياء قدوة لنا

قال الله تعالي : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الآية 146 من سورة آل عمران.. (38)

وكأين من نبي قاتل معه تلك عبرة بما سلف من صبر أتباع الرسل والأنبياء عند إصابة أنبيائهم أو قتلهم في حرب أو غيره لمماثلة الحالين، فالكلام تعريض بتشبيه حال أصحاب ((أُحُد)) بحال أصحاب الأنبياء السابقين لأن محل المثل ليس هو خصوصي الانهزام في الحرب بل ذلك هو الممثل .

وأما التشبيه فهو بصبر الاتباع عند حلول المصائب أو موت المتبوع..

***

(38) المجلد الثاني ، الجزء الرابع صـــ 105 .

بالصبر يتحقق النصر وقتي الحرب والسلم

قال الله تعالي : ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ الآية 186 من سورة آل عمران .. (39)

الابتلاء : هو الاختبار ويراد به هنا المصيبة؛ لأن في المصائب اختباراً لمقدار الثبات.

والابتلاء في النفس هو القتل والجراح . وجمع مع ذلك سماع المكروه .من أهل الكتاب والمشركين في يوم أحد وبعده.

والأذى هو الضرّ بالقول كقوله تعالي : ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗى﴾.

كما تقدم آنفا ولذلك وصفه الله بالكثير أي الخارج عن الحد الذي تحتمله النفوس غالبا.. وكل ذلك ما يفضي إلي الفشل .. فأمرهم الله بالصبر علي ذلك حتى يحصل لهم النصر وأمرهم بالتقوى أي الدوام علي أمور الإيمان والإقبال علي بثه وتأييده.

فأما الصبر علي الابتلاء في الأموال والنفس فيشمل الجهاد وأما الصبر على الأذى ففي وقتي الحرب والسلم.

فليست الآية مقتضية عدم الإذن بالقتال من حيث أنه أمرهم بالصبر علي أذي الكفار حتي تكون منسوخة بآيات السيف .. لأن الظاهر أن الآية نزلت بعد وقعة أحد وهي بعد الأمر بالقتال. قاله القفال ..

***

(39) المجلد الثاني ، الجزء الرابع صـ 115 .

تتجدد العزائم بالصبر

قال الله تعالي : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

الآية رقم200 من سورة آل عمران .. (40)

ختمت السورة بوصايا جامعة للمؤمنين . تجدد عزيمتهم وتبعث الهمم إلى دوام الاستعداد بالعدو كي لا يثبطهم ما حصل من الهزيمة فأمرهم بالصبر الذي هو جماع الفضائل وخصال الكمال. ثم بالمصابرة وهي الصبر في وجه الصابر وهذا أشد أنواع الصبر ثباتا في النفس وأقربه إلي التزلزل، وذلك أن الصبر في وجه صابر آخر شديد علي نفس الصابر لما يلاقيه من مقاومة (قرن) قريب له في الصبر قد يساويه..

فإنه لا يجتني من صبره شيئا لأن نتيجة الصبر تكون لأطول الصابرين صبرا فالمصابرة هي سبب نجاح الحرب ..

***

(40) المجلد الثاني ، الجزء الرابع صـ 189 .

★

الصبر أفضل من ذل العبودية

في حالة عدم القدرة علي نكاح الحرة

قال الله تعالي : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الآية رقم 25 من سورة النساء .. [41]

قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أي إذا استطعتم الصبر مع المشقة إلي أن يتيسر لكم نكاح الحرة فلذلك خير لئلا يوقع أبناءه في ذل العبودية المكروهة للشارع لولا الضرورة، ولئلا يوقع نفسه في مذلة تصرف الناس في زوجه..

وقوله تعالي: ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي إن خفتم العنت ولم تصبروا عليه وتزوجتم الإماء وعليه فهو مؤكد لمعني الإباحة مؤذن بأن إباحة ذلك لأجل رفع الحرج لأن الله رحيم بعباده غفور، فالمغفرة هنا بمعنى التجاوز عما ما يقتضي مقصد الشريعة تحريمه فليس هنا ذنب حتى يغفر .

***

(41) المجلد الثاني ، الجزء الخامس صـ 207 .

الرسول ﷺ والرسل قبله أسوة

قال الله تعالي : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ الآية رقم 34 من سورة الأنعام .. (42)

عطف على جملة ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ أو على جملة ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾

ويجوز أن تكون الواو واو الحال من الكلام المحذوف قبل الفاء أي فلا تحزن أو إن أحزنك ذلك فإنهم لا يكذبونك والحال قد كذبت رسل من قبلك والكلام على كل تقدير تسلية وتهوين وتكريم بأن إساءة أهل الشرك لمحمد ﷺ . هي دون ما أساء الأقوام إلى الرسل من قبله .

فإنهم كذبوا بالقول والاعتقاد..

وأما قومه فكذبوه بالقول فقط وفي الكلام أيضا تأسي للرسول بمن قبله من الرسل.

ولام القسم لتأكيد الخبر بتنزيل الرسول ﷺ منزلة من ذهل طويلا عن تكذيب الرسل لأنه لما أحزنه قول قومه فيه كان كمن بعد علمه بذلك ومن (قبلك) وصف كاشف لـ(رسل) جيء به لتقرير معنى التأسي بأن ذلك سنة الرسل.

وفي موقع هذه الآية بعد التي قبلها إيماء لرجاحة عقول العرب على عقول من سبقهم من الأمم، فإن الأمم كذبت رسلها باعتقاد ونطق ألسنتها . والعرب كذبوا باللسان وأيقنوا بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام بعقولهم التي لا يروج عندها الزيف.. و (ما) مصدرية. أي صبروا علي التكذيب . فيجوز أن يكون قوله (وأوذوا) عطفا علي (كذبوا) وتكون جملة (فصبروا) معترضة .

(42) المجلد الثالث ، الجزء السابع صـ 12 .

والتقدير : ولقد كذبت وأوذيت رسل فصبروا . فلا يعتبر الوقف عند قوله

﴿ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا ﴾ بل يوصل الكلام إلي قوله ﴿ نَصْرُنَا ﴾ وأن يكون عطفا على

﴿كُذِّبَتْ رُسُلٌ ﴾ أي كذبت وأوذوا . ويفهم الصبر علي الأذى من الصبر على التكذيب ؛ لأن

التكذيب أذى فيحسن الوقف عند قوله ﴿عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا ﴾ ..

اصبروا حتى يحكم الله بيننا

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾. الآية رقم 87 من سورة الأعراف.. [43] الطائفة.. وهي الجامعات ذات العدد الكثير ..

والشرط في قوله ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ ﴾ أفاد تعليق حصول مضمون الجزاء في المستقبل.. أعني ما تضمنه الوعيد للكافرين به..

والوعد للمؤمنين على تحقق حصول مضمون فعل الشرط على ترقب حصول مضمونه.لأنه معلوم الحصول ..

فالماضي الواقع فعلا للشرط هنا ماضي حقيقي وليس مؤولاً بالمستقبل كما هو الغالب في وقوع الماضي في سياق الشرط بقرينة كونه معلوم الحصول وبقرينة النفي بلم المعطوف على الشرط فإن (لم) صريحة في المعني ..

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ بقرينة (قد)..

الماضي المدخول (بقد) لا يقلب إلي معنى المستقبل .. فالمعنى : إن تبين أن طائفة آمنوا وطائفة كفروا فيحكم الله بيننا.

فاصبروا حتى يحكم ويؤول المعني:إن اختلفتم في تصديقي فسيظهر الحكم بأنني صادق .

وليست (إن) بمفيدة الشك في وقوع الشرط كما هو الشأن بل اجتلبت هنا لأنها أصل أدوات الشرط.

---

(43) المجلد الرابع ، الجزء الثامن صـــ 200 .

وإنما يفيد معني الشك أو ما يقرب منه .. إذا وقع العدول عن اجتلاب (إذا) .

حين يصح اجتلابها .. فإذا لم يصح اجتلاب (إذا).. فلا تدل (إن) على شك وكيف تفيد الشك مع تحقق المعني.ونظيره قول النابغة :

لئن كنت قد بلغت عني وشاية.. لمبلغك الواشي أغش وأكذب..

و**الصبر**: حبس النفس في حال الترقب. سواء كان ترقب محبوب أم ترقب مكروه.

وأشهر استعماله أن يطلق علي حبس النفس في حال فقدان الأمر المحبوب وقد جاء في هذه الآية مستعملا في القدر المشترك لأنه خوطب به الفريقين : المؤمنون والكافرون وصبر كل بما يناسبه ولعله رجح فيه حال المؤمنين، ففيه إيذان بأن الحكم المترقب هو في منفعة المؤمنين . وقد قال بعض المفسرين : إنه خطاب للمؤمنين خاصة ..

(وحتى) تفيد غاية للصبر . وهي مؤذنة بأن التقدير : وإن كان طائفة منكم آمنواْ وطائفة لم يؤمنواْ .

فسيحكم الله بيننا فاصبروا حتى يحكم ..

وحكم الله أريد به حكم في الدنيا بإظهار أثر غضبه علي أحد الفريقين ورضاء على الذين خالفوهم.. فيظهر المحق من المبطل وهذا صدر عن ثقة شعيب عليه السلام بأن الله سيحكم بينه وبين قومه استناداً لوعد الله إياه بالنصر على قومه..

أو لعلمه بسنة الله في رسله ومن كذبهم بإخبار الله تعالى إياه بذلك ولولا ذلك لجاز أن يتأخر الحكم بين الفريقين إلي يوم الحساب، وليس هو المراد من كلامه لأنه لا يناسب قوله ﴿فَٱصۡبِرُواْ ﴾ إذا كان خطابا للفريقين. فإن كان خطابا للمؤمنين خاصة صح إرادة الحكمين جميعا...

وأدخل نفسه في المحكوم بينهم بضمير المشاركة لأن الحكم المتعلق بالفريق الذين آمنواْ به يعتبر شاملاً له لأنه مؤمن برسالة نفسه.

وجملة ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ تذييل بالثناء على الله بأن حكمه عدل محض لا يحتمل الظلم عمدا ولا خطأ.

***

ربنا اجعل لأنفسنا صبراً قويا

قال الله تعالي : ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ الآية رقم 126 من سورة الأعراف .. (44)

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ من تمام كلامهم..

وهي انتقال من خطابهم فرعون إلي التوجه إلي دعاء الله تعالي..

ولذلك فصلت عن الجملة التي قبلها .. ومعنى قوله: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ اجعل لنا طاقة لتحمّل ما توعدنا به فرعون..

ولما كان ذلك الوعيد مما لا تطيقه النفوس سألواْ الله أن يجعل لنفوسهم صبراَ قوياَ يفوق المتعارف عليه .. فشبه الصبر بما تشبيه المعقول بالمحسوس.. علي الطريقة التخيلية .. فإن الإفراغ صب جميع ما في الإناء والمقصود من ذلك الكناية عن قوة الصبر. لأن إفراغ الإناء يستلزم أنه لم يبق فيه شيء مما حواه، فاشتملت هذه الجملة علي مكنية وتخيلية وكناية ودعوا لأنفسهم بالوفاة علي الإسلام إيذانا بأنهم غير راغبين في الحياة ولا مبالين بوعيد فرعون . وأن همتهم لا ترجو إلا النجاة في الآخرة والفوز بما عند الله .

وقد انخذل بذلك فرعون..وذهب وعيده باطلا . ولعله لم يحقق ما توعدهم به؛ لأن الله أكرمهم فنجاهم من خزي الدنيا كما نجاهم من عذاب الآخرة.

(44) المجلد الرابع ، الجزء التاسع صـ 56 .

والقرآن لم يتعرض هنا .. ولا في سورة الشعراء، ولا في سورة طه للإخبار عن وقوع ما توعدهم به فرعون، لأن غرض القصص القرآني هو الاعتبار بمحل الصبر وهو تأييد الله موسى وهداية السحرة وتصلبهم في إيمانهم بعد تعرضهم للوعيد بنفوس مطمئنة . وليس من غرض القرآن معرفة الحوادث كما قال في سورة النازعات﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ فاختلاف المفسرين في البحث عن تحقيق وعيد فرعون زيادة في تفسير الآية .

والظاهر أن فرعون أُفْحِم لما رأي قلة مبالاتهم بوعيده فلم يرد جواباً . وذكرهم الإسلام في دعائهم يدل علي أن الله ألهمهم حقيقته التي كان عليها النبيون والصديقون من عهد إبراهيم عليه السلام والظاهر أن كلمة (مسلمين) تعبير القرآن عن دعائهم بأن يتوفاهم الله على حالة الصديقين وهي التي يجمع لفظ الإسلام تفصيلها .

***

الاستعانة بالله تستلزم الصبر

قال الله تعالي : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾الآية رقم 128 من سورة الأعراف .. [45].

والتوكل هو جماع قوله ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾ وقد عبر عن ذلك بلفظ التوكل في قوله ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ سورة يونس..

فإن حقيقة التوكل أنه طلب نصر الله وتأييده في الأمر الذي يرغب بحصوله وذلك داخل في الاستعانة، وهو يستلزم الصبر على الضر لاعتقاد أنه زائل بإذن الله ..

وخاطب موسى قومه بذلك تطميناً لقلوبهم، وتعليما لهم بنصر الله إياهم لأنه علم ذلك بوحي الله إليه ..

***

(45) المجلد الخامس ، الجزء التاسع صـــ 57 .

الصبر عاقبته الفرج

قال الله تعالي: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ الآية رقم 137 من سورة الأعراف .. [46].

وتمت كلمات ربك الحسني علي بني اسرئيل بما صبرواْ ودمرنا ما كان (الآية) عطفت على جملة ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ﴾ والمقصود من هذا الخبر هو قوله بما صبرواْ تنويها بفضيلة الصبر وحسن عاقبته ، وبذلك الاعتبار عطفت هذه الجملة على التي قبلها..

***

(46) المجلد الخامس ، الجزء التاسع صـ 77 .

إعانة الله لمن صبر من المؤمنين على المكروه

قال الله تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الآيتان 45 و 46 من سورة الأنفال.. (47)

وفي قوله ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ألا وهو الصبر فقال ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾لأن الصبر هو تحمل المكروه وهو شديد علي النفس وتلك المأمورات كلها تحتاج إلي تحمل المكاره فالصبر يجمع تحمل الشدائد والمصاعب ولذلك كان قوله ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ ﴾ في منزلة التذييل..

وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ إيماء إلي منفعة بإلهية للصبر وهي إعانة الله لمن صبر امتثالا لأمره، وهذا مشاهد في تصرفات الحياة كلها ..

وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ قائمة مقام التعليل للأمر لأن حرف التأكيد في مثل هذا قائم مقام فاء التفريع.

***

(47) المجلد الخامس ، الجزء العاشر صــ 29 .

تكفل الله النبي ﷺ فانتصر

قاله الله تعالي : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ الآية رقم 65 من سورة الأنفال.. (48)

أعيد نداء النبي ﷺ للتنويه لشأن الكلام الوارد بعد النداء، وهذا الكلام في معنى المقصد بالنسبة للجملة التي قبله، لأنه لما تكفل الله له الكفاية، وعطف للمؤمنين في إسناد الكفاية إليهم.. احتيج إلي بيان كيفية كفايتهم، وتلك هي الكفاية بالذب عن الحوزة وقتال أعداء الله ..

فالتعريف في القتال للعهد . وهو القتال الذي يعرفونه . أعني قتال أعداء الدين. والتحريض : المبالغة في الطلب .

ولما كان عموم الجنس الذي دل عليه تعريف القتال يقتضي عموم الأحوال باعتبار المُقاتلين.. بفتح التاء.. وكان في ذلك إجمال من الأحوال . وقد يكون العدو كثيرين ويكون المؤمنون أقل منهم بين هذا الإجمال.. بقوله ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾الآية ..وضمير «منكم» خطاب للنبي ﷺ وللمؤمنين..

(48) المجلد الخامس ، الجزء العاشر صـ 66-70 .

وفصلت جملة ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ ﴾ لأنها لما جعلت بيانا لإجمال كانت مستأنفة

استئنافا بيانيا ؛ لأن الإجمال من شأنه أن يثير سؤال سائل عما يعمل إذا كان عدد العدو كثيراً فقد صار المعني : حرض المؤمنين على القتال بهذه الكيفية .. (وصابرون) ثابتون في القتال لأن الثبات علي الآلام صبر؛ لأن أصل الصبر تحمل المشاق والثبات منه..

قال تعالي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

وفي الحديث عن النبي ﷺ (لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتم فاصبروا)).

وخفف الله على المسلمين

قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ الآية رقم 66 من سورة الأنفال.. (49). هذه الآية نزلت بعد نزول الآية التي قبلها بمدة قال في الكشاف.. وذلك بعد مدة طويلة ..

ولعله بعد نزول جميع سورة الأنفال .. ولعلها وضعت في هذا الموضع لأنها نزلت مفردة غير متصلة بآيات سورة أخري .. فجعل لها هذا الموضع لأنه أنسب بها لتكون متصلة بالآية التي نسخت هي حكمها ولم أر من عَيّن زمن نزولها..

ولا شك أنه كان قبل فتح مكة فهي مستأنفة استئنافا ابتدائيا محضا لأنها آية مستقلة..

(والآن) اسم ظرف للزمان الحاضر. قيل : أصله أو آن بمعني زمان، ولما أريد تعينه للزمان الحاضر لازمته لام التعريف بمعني العهد الحضوري، فصار مع اللام كلمة واحدة ولزمه النصب علي الظرفية ..

روي الطبري عن ابن عباس ﷺ قال : كان لكل رجل من المسلمين عشره لا ينبغي أن يفر منهم وكان كذلك حتى أنزل الله ﴿ ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗا ﴾ الآية فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين فهذا حكم وجوب نسخ بالتخفيف الآتي :

قال ابن عطية : وذهب بعض الناس إلي أن ثبوت الواحد للعشرة إنما كان علي جهة ندب المؤمنين إليه .. ثم حط ذلك حين ثقل عليهم إلي ثبوت الواحد للاثنين .. وروي هذا عن ابن عباس أيضا ..

(49) المجلد الخامس ، الجزء العاشر صـ 69 .

قلت : وكلام ابن عباس المروي عند ابن جرير مناف لهذا القول .. والوقت المستحضر بقوله (الآن) هو زمن نزولها . وهو الوقت الذي علم الله عنده انتهاء الحاجة إلي ثبات الواحد من المسلمين للعشرة من المشركين .. بحيث صارت المصلحة في ثبات الواحد لاثنين لا أكثر رفقاً بالمسلمين واستبقاء لعددهم ..وأعيد وصف مائة المسلمين بـ(صابرة) لأن المقام يقتضي التنويه بالاتصاف بالثبات ..

★ بلغ النبي ﷺ ما أمر به من ربه وصبر وانتصر

قال الله تعالي:﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ الآية رقم 109 من سورة يونس.. (50)

عطف على (قل) أي بلغ الناس ذلك القول ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ ﴾ أي اتبع في نفسك وأصحابك ما يوحي إليك ﴿وَٱصۡبِرۡ ﴾ أي علي معاندة الذين لم يؤمنوا بقرينة الغاية بقوله ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ ﴾ فإنها غاية لهذا الصبر الخاص لا لمطلق الصبر .

ولما كان الحكم يقتضي فريقين حُذف متعلقه تعويلا على قرينة السياق. أي حتى يحكم الله بينك وبينهم.

وجملة ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ ثناء وتذييل لما فيه من العموم أي وهو خير الحاكمين بين كل خصمين في هذه القضية فالتعريف في ﴿ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ للاستغراق بقرينة التذييل و (خير) تفضيل أصله أخير فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال . والأخيرية من الحاكمين أخيرية وفاء الإنصاف في إعطاء الحقوق . وهي هنا كناية عن معاقبة الظالم لأن الأمر بالصبر مشعر بأن المأمور به معتدي عليه .

ففي الإخبار بأن الله خير الحاكمين إيماء بأن الله ناصر رسوله ﷺ والمؤمنين على الذين كذبواْ وعاندواْ . وهذا كلام جامع فيه براعة المقطع.

***

(50) المجلد الخامس ، الجزء الحادي عشر صـ 310 .

الصبر من الإيمان

قال الله تعالي: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ الآية رقم 11 من سورة هود.. [51]

المراد بالذين صبروا المؤمنون بالله .. لأن الصبر من مقارنات الإيمان .. فكنى بالذين صبروا عن المؤمنين فإن الإيمان يروض صاحبه علي مفارقة الهوى ونبذ معتاد الضلالة

وقال الله تعالي: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ ومن معاني الصبر انتظار الفرج ولذلك أوثر هنا وصف (صبروا) دون (آمنوا) لأن المراد مقابلة حالهم بحال الكفار في قوله إنه ﴿ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴾ ودل الاستثناء علي أنهم متصفون بضد صفات المستثني منهم .

وفي هذا تحذير من الوقوع فيما يماثل صفات الكافرين على اختلاف مقادير . وقد نسجت الآية علي هذا المنوال من الإجمال لتذهب نفوس السامعين من المؤمنين في طرق الحذر من صفتي اليأس وكفران النعمة ومن صفتي الفرح والفخر كل مذهب ممكن وجملة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾ مستأنفة ابتدائية . والإتيان باسم الإشارة عقب وصفهم بما دل عليه الاستثناء وبالصبر وعمل الصالحات تنبيه على أنهم استحقوا ما يذكر بعد اسم الإشاره لأجل ما ذكر قبله من الأوصاف .

كقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾..

***

(51) المجلد الخامس ، الجزء الثاني عشر صـ 15 .

دعوة الرسل تعتمد على الصبر

قال الله تعالي: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ الآيتان 48و49 من سورة هود.. [52]

الاستئناف أريد منه الامتنان على النبي ﷺ والموعظة والتسلية فالامتنان من قوله ﴿مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ ﴾ والموعظة من قوله ﴿فَٱصۡبِرۡ ﴾ والتسلية من قوله ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ والإشارة بـ(تلك) من خبر سيدنا نوح عليه السلام، والإنباء جمع نبأ وهو الخبر وإنباء الغيب الأخبار المغيبة عن الناس أو عن فريق منهم فهذه الأنباء مغيبة بالنسبة إلي العرب .. كلهم لعدم علمهم بأكثر من مجملاتها ..

وهي أنه قد كان في الزمن الغابر نبي يقال له نوح عليه السلام أصاب قومه طوفان وما عدا ذلك فهو غيب كما أشار إليه قوله:

﴿مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَا ﴾ فإنهم لم يفكروا ذلك ولم يدعوا علما . على أن فيها ما هو غيب بالنسبة إلي جميع الأمم مثل قصة ابن نوح الرابع وعصيانه أباه وإصابته بالغرق.

(52) المجلد الخامس ، الجزء الثاني عشر صـ 182.

ومثل كلام الرب مع نوح عليه السلام عند هبوطه من السفينة.. ومثل سخرية قومه به وهو يصنع الفلك .. وما دار بين نوح عليه السلام وقومه من المحاورة.. فإن ذلك كله مما لم يذكر في كتب أهل الكتاب ووجه تفريع أمر الرسول ﷺ بالصبر علي هذه القصة أن فيها قياس حاله مع قومه علي حال نوح عليه السلام مع قومه.. فكما صبر نوح عليه السلام فكانت العاقبة له . كذلك تكون العاقبة لك علي قومك .

وخبر نوح عليه السلام مستفاد مما حكي من مقاومة قومه ومن ثباته علي دعوتهم . لأن ذلك الثبات مع تلك المقاومة من مسمي الصبر.

***

من صفات المحسنين الصبر

قال الله تعالي: ﴿ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ الآية رقم 115 من سورة هود.. (53)

عطف علي جملة ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الآيات لأنها سيقت مساق التثبيت من جراء تأخير عقاب الذين كذبوا .

ومناسبة وقوع الأمر بالصبر عقب الأمر بالاستقامة والنهي عن الركون إلي الذين ظلموا.. أن المأمورات لا تخلو عن مشقة عظيمة ومخالفة لهوى كثير من النفوس

فناسب أن يكون الأمر بالصبر بعد ذلك ليكون الصبر على الجميع كل ما يناسبه

وتوجيه الخطاب إلي النبي ﷺ تنويه به والمقصود هو وأمته بقرينة التعليل بقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ لما فيه من العموم.

والتفريع المقتضي جمعهما أن الصبر من حساب ا لمحسنين وإلا لما كان للتفريع موقع . وحرف التأكيد مجلوب للاهتمام بالخبر . وسمي الثواب أجراً لوقوعه جزاء على الأعمال .. وموعود به فأشبه الأجر ..

***

(53) المجلد الخامس ، الجزء الثاني عشر صـ 182 .

اصبر صبرا جميلا

قال الله تعالي: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ الآية رقم 18 من سورة يوسف.. [54]

حرف الإضراب (بل) إبطال لدعواهم أن الذئب أكله فقد صرح لهم بكذبهم.

والتسويل .. التسهيل وتزيين النفس ما تحرص علي حصوله والإبهام الذي في كلمة (أمر) يحتمل عدة أشياء مما يمكن أن يؤذواْ به يوسف عليه السلام ، من قتل أو بيع أو تغريب لأنه لم يعلم تعيين ما فعلوه وتنوين (أمراً) للتهويل، وفرع على ذلك إنشاء التصبر

(فصبر جميل) نائب مناب اصبر صبراَ جميلاً عدل به عن النصب إلي الرفع للدلالة على الثبات والدوام.

كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾ في سورة هود ..

ويكون ذلك اعتراض في أثناء خطاب أبنائه ، أو يكون تقدير اصبر صبرا جميلا على أنه خطاب لنفسه .

ويجوز أن يكون (صبر جميل) خبر مبتدأ محذوف دل عليه السياق . أي فأمري صبر . أو مبتدأ خبره محذوف كذلك . والمعنى علي الإنشاء أوقع وتقدم الصبر عند قوله تعالي : ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ في سورة البقرة.

(54) المجلد الخامس ، الجزء الثاني عشر صـ 238 .

ووصف(جميل)محتمل أن يكون وصفا كاشفا إذ الصبر كله حسن دون الجزع كما قال إبراهيم بن كنيف النبهاني :

تصبر فإن الصبر بالحر أجمل ... وليس علي ريب الزمان معوَل..

أي أجمل من الجزع ..

ويحتمل أن يكون وصفا مخصصا .. وقد فسر الصبر الجميل بالذي لا يخالطه جزع والجمال: حسن الشيء في صفات محاسن صنفه . فجمال الصبر أحسن أحواله . وهو أن لا يقارنه شيء يقلل خصائص ماهيته.

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ مر بامرأة تبكي عند قبر فقال لها:

اتقي الله واصبري، فقالت :إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه، فلما انصرف مر بها رجل فقال لها: إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ .

فقالت : لم أعرفك يا رسول الله .. فقال :إنما الصبر عند الصدمة الأولي أي الصبر الكامل.

وقوله ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ عطف علي جملة ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فتكون محتملة للمعنيين المذكورين من إنشاء الاستعانة أو الإخبار بحصول استعانته بالله على تحمل الصبر علي ذلك . أو أراد الاستعانة بالله ليوسف عليه السلام على الخلاص مما أحاط به.

والتعبير عما أصاب يوسف عليه السلام ((بما تصفون)) في غاية البلاغة لأنه كان واثقا بأنهم كاذبون في الصفة وواثقا بأنهم ألحقوا بيوسف عليه السلام ضرا ، فلما لم يتعين عنده المصاب أجمل التعبير عنه إجمالا موجها لأنهم يحسبون أن ما يصفونه هو موته بأكل الذئب إياه ويعقوب عليه السلام يريد أن ما يصفونه هو المصاب الواقع الذي وصفوه وصفا كاذبا وهو قريب من قوله تعالي: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ وإنما فوض يعقوب عليه السلام الأمر إلى الله ولم يسع للكشف عن مصير يوسف عليه السلام لأنه علم تعذر ذلك عليه لكبر سنه ولأنه لا عضد له يستعين به على أبنائه أولئك.

وقد صاروا هم الساعين في البعد بينه وبين يوسف عليه السلام فأيس من استطاعة الكشف عن يوسف عليه السلام بدونهم .

ألا ترى أنه لما وجد منهم فرصة قال لهم ﴿ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾

***

لا شكوى إلا لله

قال الله تعالي: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الآية رقم 83 من سورة يوسف.. [55]

جعلت جملة (قال بل سولت) في صورة الجواب عن الكلام.

الذي لقنه أخوهم علي طريقه الإيجاز . والتقدير: فرجعوا إلي أبيهم فقالوا ذلك الكلام الذي لقنه إياهم (روبين).

قال أبوهم: بل سولت..........إلخ.

وقوله هنا كقوله لهم حين زعموا أن يوسف عليه السلام أكله الذئب، فهو تهمة لهم بالتنفير بأخيهم.

قال ابن عطية : ظن بهم سوءاً فصدق ظنه في زعمهم في يوسف عليه السلام ولم يتحقق ما ظنه في أمر بينيامين. أي أخطأ في ظنه بهم في قضيه (بينيامين) ومستنده في هذا الظن علمه أن ابنه لا يسرق.

فعلم أن في دعوي السرقة مكيدة. فظنه صادق علي الجملة لا علي التفصيل، وأما تهمته أبناءه بأن يكونوا تمالؤوا علي أخيهم بينيامين فهو ظن مستند إلى القياس على ماسبق من أمرهم في قضية يوسف عليه السلام.

(55) المجلد السادس ، الجزء الثالث عشر صـ 41 .

فإنه كان قال لهم: ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ ﴾ .. ويجوز علي النبي الخطأ في الظن في أمور العادات كما جاء في حديث ترك إبار النخل ولعله اتهم روبين أن يكون قد اختفى لترويج دعوى أخوته. وضمير (هم) ليوسف عليه السلام وبنامين . وروبين. وهذا كشف عنه إذ لم ييأس من حياة يوسف عليه السلام.

وجملة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ تعليل لرجائه من الله بأن الله عليم فلا تخفى عليه مواقعهم المتفرقة، حكيم فهو قادر علي إيجاد أسباب جمعهم بعد التفرق. فصبر جميل لا شكوى فيه إلا لله.

***

إن الله لا يضيع أجر من يتق ويصبر

قال الله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ الآية رقم 90 من سورة يوسف.. (56)

وقولهم﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ ﴾ يدل على أنهم استشعروا من كلامه ثم من ملامحه ثم من تفهم قول أبيهم لهم ﴿ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ إذ قد اتضح لهم المعني التعريضي من كلامه فعرفوا أنه يتكلم مريدا نفسه.

وتأكيد الجملة بـ(إن) ولام الابتداء وضمير الفصل لشدة تحققهم أنه يوسف عليه السلام.

وأدخل الاستفهام التقريري علي الجملة المؤكدة لأنهم تطلبوا تأييده لعلمهم به.

وقرأ ابن كثير (إنك) بغير استفهام علي الخبرية، والمراد لازم فائدة الخبر أي عرفناك ألا تري أن جوابه بـ(أنا يوسف) مجرد من التأكيد لأنهم كانوا متحققين ذلك فلم يبق إلا تأييده لذلك .

وقوله (وهذا أخي) خبر مستعمل في التعجب من جمع الله بينهما بعد طول الفرقة فجملة (قد مَنَّ الله علينا) بيان للمقصود من جملة (وهذا أخي)وجملة (إنه من يتق ويصبر) تعليل لجملة (مَنَّ الله علينا).

فيوسف عليه السلام اتقي الله وصبر ، وبينيامين صبر ولم يعص الله فكان تقيا . أراد يوسف عليه السلام تعليمهم وسائل التعرض إلى نعم الله تعالى. وحثهم على التقوى والتخلق بالصبر تعريضا بأنهم لم يتقوا الله فيه وفي أخيه ولم يصبروا على إيثار أبيهم إياهما عليهم.

(56) المجلد السادس ، الجزء الثالث عشر صـــ 47 .

وهذا من أفانين الخطابة أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته. وذكر المحسنين وضع للظاهر موضع المضمر إذ مقتضى الظاهر أن يقال: فإن الله لا يضيع أجرهم . فعدل عنه إلي المحسنين للدلالة على أن ذلك من الإحسان. وللتعميم في الحكم ليكون كالتذييل. ويدخل في عمومه هو وأخوه.

ثم إن هذا في مقام التحدث بالنعمة وإظهار الموعظة سائغ للأنبياء لأنه من التبليغ كقول النبي ﷺ : « **إني لأتقاكم لله وأعلمكم به**».

***

الفضائل تكون بالصبر والشكر لله

قال الله تعالي: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ الآية رقم 22 من سورة الرعد. (57)

وجاءت صلة ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ وما عطف عليها وهو ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ ﴾ بصيغة المضي لإفادة تحقق هذه الأفعال الثلاثة لهم.

ويمكنهما من أنفسهم تنويها بها لأنها أصول لفضائل الأعمال، فأما الصبر فلأنه ملاك استقامة الأعمال ومصدرها فإذا تخلق به المؤمن صدرت عنه الحسنات والفضائل بسهولة ولذلك قال تعالي : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾

والمعني : أنهم صبروا لأجل أن الصبر مأمور به من الله لا لغرض آخر كالرياء ليقال ما أصبره على الشدائد ولاتقاء شماتة الأعداء.

***

(57) المجلد السادس ، الجزء الثالث عشر صـ 124-128 .

هذا النعيم المشاهد بما صبرتم

قال الله تعالي:﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ الآية رقم 23و24من سورة الرعد.. [58]

والباء في (بما صبرتم) للسببية . وهي متعلقة بالكون المستفاد من المجرور وهو (عليكم) والتقدير نالكم هذا التكريم بالسلام بسبب صبركم، ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف مستفاد من المقام أي هذا النعيم المشاهد بما صبرتم.

والمراد : الصبر علي مشاق التكاليف وعلى ما جاهدوا بأموالهم وأنفسهم.

***

(58) المجلد السادس ، الجزء الثالث عشر صـــ 131 .

الأنبياء يخرجون قومهم من الظلمات إلى النور بصبرهم

قال الله تعالي: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ الآية رقم 5 من سورة إبراهيم.. (59)

واسم الإشارة في قوله ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ عائد إلي ما ذكر من الإخراج والتذكير فالإخراج من الظلمات بعد توغلهم فيها وانقضاء الأزمنة الطويلة عليها آية من آيات قدرة الله تعالي.

والتذكير بأيام الله علي آيات قدرة الله وعزته وتأييد من أطاعه.

وكل ذلك آيات كائنة في الإخراج والتذكير علي اختلاف أحواله، وقد أحاط بمعنى هذا الشمول حرف الظرفية من قوله (في ذلك)

لأن الظرفية تجمع أشياء مختلفة يحتويها الظرف، ولذلك كان لحرف الظرفية هنا موقع بليغ.

ولكون الآيات مختلفة . بعضها آيات موعظة وزجر وبعضها آيات منة وترغيب جعلت متعلقة بـ ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ إذ الصبر المناسب للزجر لأن التخويف يبعث النفس علي تحمل معاكسة هواها خيفة الوقوع في سوء العاقبة . والإنعام يبعث النفس علي الشكر ، فكان الصفتان توزيعا لما أحمله ذكر أيام الله من أيام بؤس وأيام نعيم.

***

(59) المجلد السادس ، الجزء الثالث عشر صـ 188 .

صبر الرسل مستمد من أذى قومهم ولحظة يفوضون أمرهم إلى الله يرون بوارق عنايته

قال الله تعالي: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ الآية رقم 11و12 من سورة إبراهيم .. (60)

وجملة ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ استدلال على صدق رأيهم في تفويض أمرهم إلى الله لأنهم رأوا بوارق عنايته بهم إذا .هداهم إلي طرائق النجاة والخير ومبادئ الأمور تدل علي غاياتها.

وأضافوا السبل إلي ضميرهم للاختصار لأن أمور دينهم صارت معروفة لدي الجميع فجمعها قولهم (سبلنا).

(ومالنا ألا نتوكل) استفهام إنكاري لانتفاء توكلهم علي الله.

أتواْ به في صورة الإنكار بناء علي ما هو معروف من استحماق الكفار إياهم في توكلهم علي الله. فجاؤوا بإنكار نفي التوكل على الله ومعنى (ومالنا إن لا نتوكل) فاثبت لنا من عدم التوكل فاللام للاستحقاق.

(60) المجلد السادس ، الجزء الثالث عشر صـ 201 .

وزادهم قومهم تيأسا بالأذى فأقسموا على أن صبرهم على أذى قومهم سيستمر. فصيغة الاستقبال المستفادة من المضارع المؤكد بنون التوكيد في (لنصبرن) دلت علي أذي مستقبل ودلت صيغة المعني المنتزع منها المصدر في

قوله (ما آذيتمونا) علي أذي مضي فحصل من ذلك معني نصبر علي أذي متوقع كما صبرنا على أذى مضى وهذا إيجاز بديع.

وجمله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) يحتمل أن تكون من بقية كلام الرسل فتكون تذييلا وتأكيد لجملة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فكانت تذييلا لما فيها من العموم الزائد في قوله (المتوكلون) على عموم (فليتوكل المؤمنون) وكانت تأكيداً لأن المؤمنين من جملة المتوكلين والمعني: من كان متوكلا في أمره على غيره فليتوكل على الله . ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى. فهي تذييل للقصة وتنويه بشأن المتوكلين على الله أي لا ينبني التوكل إلا عليه.

***

★ الصبر والجزع سواء ولا نجاة للمستكبرين من العذاب ومن معهم

قال الله تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ الآية رقم 21 من سورة إبراهيم .. (61)

وجملة ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا ﴾ من كلام الذين استكبروا ، وهي مستأنفة تبين عن سؤال من الضعفاء يستفتون المستكبرين أيصبرون أم يجزعون تطلبا للخلاص من العذاب فأرادوا تأييسهم من ذلك يقولون: لا يفيدنا جزع ولا صبر فلا نجاة من العذاب . فضمير المتكلم المشارك شامل للمتكلمين و المجابين. جمعوا أنفسهم إتماما للاعتذار عن تورطهم .

والجزع: حزن مشوب باضطراب. والصبر تقدم .

وجملة (مالنا من محيص) واقعة موقع التعليل لمعنى الاستواء أي حيث لا محيص ولا نجاة فسواء الجزع والصبر .

***

(61) المجلد السادس ، الجزء الثالث عشر صـــ 215 .

الصبر فرج للمتوكلين علي ربهم

قال الله تعالي:﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِى ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةًۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ - الآية رقم 41و42 من سورة النحل ..(62)

(والذين صبروا) صفة (للذين هاجروا). والصبر تحمل المشاق والتوكل: الاعتماد.

والتعبير في جانب الصبر بالمعني وفي جانب التوكل بالمضارع إيماء إلي أن صبرهم قد أذن بالانقضاء لانقضاء أسبابه، وأن الله قد جعل لهم فرجا بالهجرة الواقعة والهجرة المترقبة فهذه بشارة لهم. وأن التوكل ديدنهم لأنهم يستقبلون أعمالاً جليلة تتم لهم بالتوكل على الله في أمورهم فهم يكررونه. وهذا بشارة بضمان النجاح.

وفي معنى هذه الآية قوله تعالي: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ وتقديم المجرور في قوله تعالي: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ للقصر أي لا يتوكلون إلا على ربهم دون التوكل علي سادة المشركين وولائهم.

***

(62) المجلد السادس ، الجزء الثالث عشر صـ 157 .

وعد الله المؤمنين بالأجر لصبرهم

قال الله تعالي: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ الآية رقم 96 من سورة النحل.. (63)

وجملة﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ تذييل وتعليل لمضمون جملة ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ .

بأن ما عند الله لهم خير متجدد لا نفاد له. وأن ما يعطيهم المشركون محدود نافذ لأن خزائن الناس صائرة إلى النفاد بالإعطاء وخزائن الله باقية.

والنفاد: الانقراض. والبقاء: عدم الفناء.

أي ما عند الله لا يفنى فالأجدر الاعتماد على عطاء الله الموعود علي الإسلام دون الاعتماد على عطاء الناس الذين ينفد رزقهم ولو كثر.

وهذا الكلام جرى مجرى التذييل لما قبله، وأرسل إرسال المثل فيحمل علي الأعم ولذلك كان الضمير(عندكم)عائد إلي جميع الناس بقرينة التذييل وبقرينة المقابلة بما عند الله.

أي ما عندكم أيها الناس ما عند الموعود وما عند الواعد لأن المنهيين عن نقض العهد ليس بيدهم شيء.

ولما كان في نهيهم عن أخذ ما يعدهم به المشركون حمل لهم على حرمان أنفسهم من ذلك النفع العاجل وعدوا الجزاء على صبرهم بقوله تعالي:

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم ﴾.

(63) المجلد السادس ، الجزء الرابع عشر صـ 270-272 .

بهجرتهم إلي الحبشة اتقوا عذاب الفتنة

قال الله تعالي: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾(64).

والمراد بـ(الذين هاجروا) المهاجرون إلي الحبشة الذين أذن لهم النبي ﷺ بالهجرة للتخلص من أذي المشركين.

ولا يستقيم معني الهجرة إلاً لهذه الهجرة إلي أرض الحبشة قال ابن إسحاق:

(فلما رأي رسول الله ﷺ) ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانة من الله ومن عمه أبي طالب. وأنه لا يقدر علي أن يمنعهم عماهم فيه من البلاء. قال لهم: لو خرجتم إلي أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد. وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلي أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً بدينهم. ا.هـ

فإنه لما ذكر الذين آمنوا وصبروا علي الأذى الذين اتقواْ عذاب الفتنة بأن قالوا كلام الكفر بأفواههم ولكن قلوبهم مطمئنة بالإيمان.

ذكر فريقاَ آخر فازواْ بفرار من الفتن. لئلا يتوهم متوهم أن بعدهم عن النبي ﷺ في تلك الشدة يوهن جاهة المسلمين فاستوفي ذكر فرق المسلمين كلها. وقد أومأ إلي حظهم من الفضل بقوله : ﴿هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ﴾ فسمى عملهم هجرة.

---

(64) الآية 110 من سورة النحل . المجلد السادس ، الجزء الرابع عشر ص298-300.

وهذا الاسم في مصطلح القرآن الكريم يدل علي مفارقة الوطن لأجل المحافظة علي الدين كما حكى عن إبراهيم عليه السلام وقال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾وقال في الأنصار: ﴿يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ أي المؤمنين الذين فارقوا مكة.

وسمي ما لقوه من المشركين فتنة والفتنة: العذاب والأذى الشديد المتكرر الذي لا يترك لمن يقع به صبرا ولا رأيا قال تعالي: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ ﴾..

والصبر: الثبات على تحمل المكروه والمشاق.

وأكد الخبر بحرف التوكيد اللفظي لتحقيق الوعد والاهتمام يدفع النقيصة عنهم في الفضل.

ويدل علي ذلك ما في صحيح البخاري: أن أسماء بنت عميس.وهي ممن قدم من أرض الحبشة. دخلت علي حفصة فدخل عمر عليها، فقال لها: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم، فغضبت أسماء و قالت: كلا والله. كنتم مع النبي يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في أرض البعداء البغضاء بالحبشة ونحن كنا نؤذي ونخاف وذلك في الله ورسوله وأيم الله لا أطعم ولا أشرب شراباَ حتي أذكر ما قلت لرسول الله. فلما جاء الرسول ﷺ إلي بيت حفصة قالت أسماء: يا رسول الله إن عمر قال كذا وكذا قال : ((فما قلت له؟)) قالت: قلت له كذا وكذا ، قال: ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان))

***

خطاب للرسول ﷺ بمراعاة العدل في عقاب المشركين والصبر أفضل

قال الله تعالي: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ الآية رقم 126 من سورة النحل... (65)

عطفت علي جملة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ أي إن كان المقام مقام الدعوة فلتكن دعوتك إياهم كما وصفنا.

وإن كنتم أيها المؤمنون معاقبين المشركين على ماىالكم من أذاهم فعاقبوهم بالعدل لا بتجاوز حد ما لقيتم منهم.

فهذه الآية متصلة بما قبلها أتم اتصال وحسبك وجود العاطف فيها وهذا تدرج في رتب المعاملة من معاملة الذين يدعون ويوعظون إلي معاملة الذين يجادلون ثم إلى معاملة الذين يجازون علي أفعالهم وبذلك حصل حسن الترتيب في أسلوب الكلام.

وهذا مختار النحاس وابن عطية وفخر الدين .. من المفسرين وبذلك يترجح كون هذه الآية مكية مع سوابقها ابتداء من الآية الحادية والأربعين.. وهو قول جابر بن زيد كما تقدم في أول السورة واختار ابن عطية أن هذه الآية مكية..

(65) المجلد السادس ، الجزء الرابع عشر صـ 335 .

ويجوز أن تكون نزلت في قصة التمثيل بحمزة يوم أحد وهو مروي بحديث ضعيف للطبراني ولعله اشتبه علي الرواة تذكر النبي ﷺ .. الآية حين توعد المشركين بأن يمثل بسبعين منهم إن أظفره الله بهم.. والخطاب للمؤمنين و يدخل فيه النبي ﷺ .. والمعاقبة الجزاء علي فعل السوء بما يسوء فاعل السوء ..

فقوله (بمثل ما عوقبتم) مشاكله لـ(عاقبتم) .استعمل(عوقبتم) في معني عوملتم به.. لوقوعه بعد فعل (عاقبتم) فهو استعارة وجه شبهها هو المشاكلة..ويجوز أن يكون (عوقبتم) حقيقة لأن مايلقونه من الأذى من المشركين قصدوا به عقابهم علي مفارقة دين قومهم وعلي شتم أصنامهم وتسفيه آبائهم. والأمر في قوله (فعاقبوا) للوجوب باعتبار متعلقة وهو قوله :

﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ فإن عدم التجاوز في العقوبة واجب .

وفي هذه الآية إيماء إلي أن الله يظهر المسلمين علي المشركين ويجعلهم في قبضتهم فلعل بعض الذين فتنهم المشركون يبعثه الحنق علي الإفراط في العقاب .. فهي ناظرة إلي قوله: ﴿

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾

ورغبهم في الصبر علي الأذى. .أي بالإعراض عن أذي المشركين وبالعفو عنه.لأنه أجلب لقلوب الأعداء . فوصف بأنه خير أي خير من الأخذ بالعقوبة .

كقول الله تعالي: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾..

فضمير الغائب عائد إلي الصبر المأخوذ من فعل (صبرتم) ..

كما في قوله تعالي: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ وأكد كون الصبر خيرا..بلام القسم .. زيادة في الحث عليه ..

وعبر عنهم بالصابرين : إظهار في مقام الإضمار لزيادة التنويه بصفة الصابرين أي الصبر خير لجنس الصابرين.

***

صبر النبي هنا ليس كالمعتاد

قال الله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ الآية رقم 127 من سورة النحل... (66)

خص النبي ﷺ بالأمر بالصبر للإشارة إلي أن مقامه أعلى. فهو بالتزام الصبر أولى أخذا بالعزيمة بعد أن رخص لهم في المعاقبة.

وجملة (وما صبرك إلا بالله) معترضة بين المتعاطفات . أي وما يحصل صبرك إلا بتوفيق الله إياك.. وفي هذا إشارة إلى أن صبر النبي ﷺ عظيم لأنه لقي من أذى المشركين ..أشد مما لقيه عموم المسلمين ..

فصبره ليس كالمعتاد . لذلك كان حصوله بإعانة من الله ..

***

(66) المجلد السادس ، الجزء الرابع عشر صـ 336 .

أمر النبي ﷺ بملازمة المؤمنين وعدم إطاعة المشركين

قال الله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ الآية رقم28 من سورة الكهف.. (67)

هذا من ذيول الجواب عن مسألتهم عن أهل الكهف . فهو مشارك لقوله :

﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾الآية..

وفي سورة الأنعام عند قول الله تعالي : ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ أن سادة المشركين كانوا زعموا أنه لولا أنَّ من المؤمنين ناسا أهل خصاصة في الدنيا وأرقاء لا يدانوهم ولا يستأهلون الجلوس معهم لأتوا إلي مجالسة النبي ﷺ. واستمعوا القرآن فاقترحوا عليه أن يطردهم من حوله إذا غشيه سادة قريش ..فرد الله عليهم بما في سورة الأنعام وما في هذه السورة..

وما هنا أكد إذ أمره بملازمتهم بقوله ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ ﴾ أي احبسها معهم حبس ملازمة ..

والصبر: الشد بالمكان بحيث لا يفارقه ومنه سميت المصبورة وهي الدابة تشد لتجعل غرضا للرمي ..

(67) المجلد السادس ، الجزء الخامس عشر صـ 304 .

ولتضمين فعل (اصبر) معني الملازمة علق به ظرف (مع) (والغداة).. قرأه الجمهور بألف بعد الدال: اسم الوقت الذي بين الفجر وطلوع الشمس

والعشي بالمساء والمقصود أنهم يدعون الله دعاء متخللا سائر اليوم والليلة .

والدعاء: المناجاة والطلب. والمراد به ما يشمل الصلوات..

***

اختلاف المشربين ينفي الصبر

قال الله تعالي: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ الآية رقم 67 من سورة الكهف [68]

وأكد جملة﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ بحرف إن وبحرف لن تحقيقاً لمضمونها من توقع ضيق ذرع موسى عن قبول ما يبديه إليه.

لأنه علم أنه تصدر منه أفعال ظاهرها المنكر وباطنها المعروف.. ولما كان موسي عليه السلام من الأنبياء الذين أقامهم الله لإجراء الأحكام على الظاهر ..

علم بأنه سينكر ما يشاهده من تصرفاته لاختلاف المشربين؛ لأن الأنبياء لا يقرون المنكر .

وهذا تحذير منه لموسى وتنبيه على ما يستقبله منه حتى يقدم على متابعته إن شاء على بصيرة وعلى غير اغترار.

وليس المقصود منه الإخبار ..فمناط التأكيدات في جملة ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ إنما هو تحقيق خطورة أعمالها وغرابتها في المتعارف بحيث لا تتحمل.

ولو كان خيرا علي أصله لم يقبل فيه المراجعة ولم يجبه موسى بقوله : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾..

(68) المجلد السادس ، الجزء الخامس عشر صـ 368 .

وفي هذا أصل من أصول التعليم أن ينبه المعلم المتعلم بعوارض موضوعات العلوم الملقنة لاسيما إذا كانت في معالجتها مشقة وزادها تأكيدا عموم الصبر المنفي لوقوعه نكره في سياق النفي ..

وأن المنفي استطاعته الصبر المفيد أنه لو تجشم أن يصبر.. لم يستطع ذلك فأفاد هذا التركيب نفي حصول الصبر منه في المستقبل على آكد وجه وزيادة (معي) إيماء إلى أنه يجد من أعماله مالا يجد مثله مع غيره فانتفاء الصبر علي أعماله أجدر.

***

وأنت لا تصبر علي ما لم تحط به خُبرا

قال الله تعالي: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ الآية رقم 68 من سورة الكهف.. (69)

جملة ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ في موضع الحال من اسم إن . أو من ضمير (تستطيع) . قالوا : أو واو الحال وليست واو العطف ؛ لأن شأن هذه الجملة أن لا تعطف علي التي قبلها لأن بينهما كمال الاتصال إذ الثانية كالعلة للأولي .

وإنما أؤثر مجيئها في صورة الجملة الحالية دون أن تفصل عن الجملة الأولي . فتقع علة مع أن التعليل هو المراد . للتنبيه علي أن مضمونها علة ملازمة لمضمون التي قبلها إذ هي حال من المسند إليه في الجملة قبلها .

و(كيف) للاستفهام الإنكاري في معنى النفي . أي وأنت لا تصبر على ما لم تحط به خبرا.

والخبر بضم الخاء وسكون الباء: العلم وهو منصوب على أنه تمييز لنسبة الإحاطة في قوله (مالم تحط به) أي إحاطة من حيث العلم .

والإحاطة : مجاز في التمكن، تشبيها لقوة تمكن الاتصاف بتمكين الجسم المحيط بما أحاط به.

***

(69) المجلد السادس ، الجزء الخامس عشر صـ 368 .

أهم ما يتسم به طالب العلم هو الصبر والطاعة للمعلم

قال الله تعالي: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴾ الآية رقم 69 من سورة الكهف.. [70]

قوله ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ أبلغ في ثبوت الصبر من نحو سأصبر لأنه يدل على حصول صبر ظاهر لرفيقه ومتبوعه .

وظاهر أن متعلق الصبرهنا هو الصبرعلي مامن شأنه أن يثير الجزع أو الضجر من تعب في المتابعة ومن مشاهدة ما لم يتحمله إدراكه . ومن ترقب بيان الأسباب والعلل والمقاصد ولما كان هذا الصبر الكامل يقتضي طاعة الآمر فيما يأمره به عطف عليه ما يفيد الطاعة إبلاغا في الإتمام بأكمل أحوال طالب العلم فجملة (ولا أعصي لك أمرا) معطوفة علي جملة ستجدني أو هو من عطف الفعل على الاسم المشتق عطفا على (صابرا) فيؤول مصدر أي وغير عاص .

وفي هذا دليل على أن أهم ما يتسم به طالب العلم هو الصبر والطاعة للمعلم ..

وفي تأكيده ذلك بالتعليق على مشيئة الله استعانة به وحرصا على تقدم التيسير تأدبا مع الله..

إيذان بأن الصبر والطاعة من المتعلم الذي له شئ من العلم أعسر من صبر

وطاعة المتعلم الساذج لأن خلو ذهنه من العلم لا يحرجه من مشاهدة الغرائب

(70) المجلد السادس ، الجزء الخامس عشر صـ 368 .

إذ ليس في ذهنه من المعارف ما يعارض قبولها.

فالمتعلم الذي له نصيب من العلم وجاء طالب الكمال في علومه إذا بدا له من علوم أستاذه ما يخالف ما تقرر في علمه يبادر إلى الاعتراض والمنازعة.

وذلك قد يثير النفرة بينه وبين أستاذه . فلتجنب ذلك خشي الخضر أن يلقى من موسى هذه المعاملة فقال له ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ..

فأكد له موسي أنه يصبر ويطيع أمره إذا أمره.. والتزام موسى ذلك مبني على ثقته بعصمة متبوعه لأن الله أخبره بأنه أتاه علما.

والفاء في قوله: ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي ﴾ تفريع على وعد موسى إياه بأنه يجده صابرا ففرع علي ذلك

نهيه عن السؤال عن شيء مما يشاهده من تصرفاته حتى يبينه له من تلقاء نفسه . وأكد النهي بحرف التوكيد تحقيقا لحصول أكمل أحوال المتعلم مع المعلم لأن السؤال قد يصادف وقت اشتغال المسؤول بإكمال عمله فتضيق له نفسه فربما كان الجواب عنه بدون شدة نفس.

وربما خالطه بعض القلق فيكون الجواب غير شاف .

فأراد الخضر أن يتولى هو بيان أعماله في الوقت الذي يراه مناسبا ليكون البيان أبسط والإقبال أبهج .. فيزيد الاتصال بين القرينين ..

والذكر هنا ذكر اللسان وتقدم عند قوله تعالي: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ﴾ في سورة البقرة .. أعني بيان العلل والتوجيهات وكشف الغوامض .

وإحداث الذكر إنشاؤه وإبرازه..

***

أتقر بأنني قلت إنك لن تستطيع معي صبرا؟

قال الله تعالي:﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ الآية رقم72 من سورة الكهف.. (71)

استفهام تقرير وتعريض باللوم علي عدم الوفاء بما التزم . أي أتقر أني قلت لك إنك لا تستطيع معي صبرا.. و(معي) ظرف متعلق بـ(تستطيع) فاستطاعة الصبر المنفية هي التي تكون في صحبته لأنه يري أموراً عجيبة لا يدرك تأويلها وحذف متعلق القول تنزيلا له منزلة اللازم أي ألم يقع مني قول فيه خطابك بعدم الاستطاعة ..

***

(71) المجلد السادس ، الجزء الخامس عشر صـ 376.

هنا لم يعتذر موسى عليه السلام بالنسيان

قال الله تعالي: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾ الآيتان رقم 75و76 من سورة الكهف.. (72)

فكان التقرير والإنكار مع ذكر لام تعدية القول أقوي وأشد. وهنا لم يعتذر موسى بالنسيان : إما لأنه إن لم يكن نسي ولكنه رجح تغيير المنكر العظيم وهو قتل النفس بدون موجب . على واجب الوفاء بالالتزام وإما لأنه نسى وأعرض عن الاعتذار بالنسيان لسماحة تكرر الاعتذار به .

وعلى الاحتمالين فقد عدل إلي المبادرة باشتراط ما تطمئن إليه نفس صاحبه .لأنه إن عاد للسؤال الذي لا يبتغيه صاحبه فقد جعل له ألا يصاحبه بعده ..

وفي الحديث عن النبي ﷺ : (كانت الأولي من موسي نسيانا.. والثانية شرطا) فاحتمل كلام النبي الاحتمالين المذكورين وأنصف موسى إذ جعل لصاحبه العذر في ترك مصاحبته في الثالثة تجنبا لإحراجه..

(72) المجلد السابع ، الجزء السادس عشر صـ 5.

اللوم يكون على عدم الصبر

قال الله تعالي: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ الآية رقم 78 من سورة الكهف .. [73]

وفي صلة الموصول من قوله: ﴿ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ تعريض باللوم علي الاستعجال وعدم الصبر إلي أن يأتيه إحداث الذكر حسبما وعده

بقوله: ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ .

***

(73) المجلد السابع ، الجزء السادس عشر صـ 9

الخضر عليه السلام في النهاية وضح الدرس

قال الله تعالي: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ الآية رقم 82من سورة الكهف.. (74)

وجملة ﴿ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ فذلك للجمل التي قبلها ابتداء من قوله: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ ﴾ فالإشارة بذلك إلى المذكور في الكلام السابق وهو تلخيص للمقصود كحوصلة المدرس في آخر درسه. و (تسطع) مضارع (اسطاع) بمعني استطاع حذف تاء الاستفعال ..تخفيف لقربها من مخرج الطاء .

والمخالفة بينه وبين قوله ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴾ للتفنن تجنبا لإعادة لفظ بعينه مع وجود مرادفه وابتدأ بأشهرهما استعمالا وجئ بالثانية بالفعل المخفف لأن التخفيف أولي به لأنه إذا كرر (تستطع) يحصل من تكريره ثقل وأكد الموصول الأول الواقع في قوله ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴾ تأكيد للتعويض باللوم علي عدم الصبر ..

***

(74) المجلد السابع ، الجزء السادس عشر صـ 10.

ثبات العزيمة يحتاج إلى صبر

قال الله تعالي: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ الآية رقم65 من سورة مريم.. (75)

الاصطبار شدة الصبر علي الأمر الشاق لأن صيغة الافتعال ترد لإفادة قوة الفعل وكذا الشأن أن يعدى الاصطبار بحرف (على).

كما قال تعالي: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾ ولكنه عدي هنا باللام لتضمينه معني الثبات أي أثبت للعبادة .

لأن للعبادة مراتب كثيرة. من مجاهدة النفس وقد يغلب بعضها بعض النفوس مستطيع الصبر علي بعض العبادات دون بعض منها .

قال النبي ﷺ في صلاة العشاء : «هي أثقل صلاة علي المنافقين»..

فلذلك لما أمر الله رسوله بالصبر علي العبادة كلها وفيها أصناف جمة تحتاج إلي ثبات العزيمة . نزل القائم بالعبادة منزلة المغالب لنفسه .. فعدي الفعل باللام كما يقال اثبت لعاداتك..

***

(75) المجلد السابع ، الجزء السادس عشر صـ 141.

عاقبة الصبر على المكذبين

قال الله تعالي: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ الآية رقم 130 من سورة طه.. (76)

فرع على ذلك أمر رسول الله ﷺ بالصبر على ما يقولون من التكذيب وبالوعيد بتأخير نزوله بهم والمعنى فلا تستعجل لهم العذاب واصبر على تكذيبهم ونحوه الشامل له الموصول في قوله (مايقولون) وأمره بأن يقبل على مزاولة تزكية نفسه وتزكية أهله بالصلاة والإعراض عما منع الله الكفار برفاهية العيش ووعده بأن العاقبة للمتقين ..

فالتسبيح هنا مستعمل في الصلاة لاشتمالها على تسبيح الله وتنزيهه ..

***

(76) المجلد السابع ، الجزء السادس عشر صـ 335.

أمروا بالصلاة وثوابها من الله

قال الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ الآية رقم132 من سورة طه.. [77]

ذكر الأهل هنا مقابل لذكر الأزواج في قوله ﴿ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ فإن من أهل الرجل أزواجه أي متعتك ومتعة أهلك الصلاة فلا تلتفتوا إلى زخارف الدنيا وأهل الرجل يكونون أمثل من ينتمون إليه..

ومن آثار العمل بهذه الآية في السنة ما في صحيح البخاري أن فاطمة رضي الله عنها بلغها أن سبيا جئ به إلي النبي ﷺ، فأتت تشتكي إليه ما تلقي من الرحى تسأله خادما من السبي، فلم تجده فأخبرت عائشة بذلك رسول الله ﷺ فجاءها النبي ﷺ وقد أخذت وعلي مضجعهما ، فجلس في جانب الفراش وقال لها : ولعلي ألا أخبركما بخير لكما مما سألتما ؟؟

«تسبحان وتحمدان وتكبران دبر كل صلاة ثلاثة وثلاثين فذلك خير لكما من خادم». وأمر الله رسوله بما هو أعظم مما يأمر به أهله وهو أن يصطبر علي الصلاة..

(والاصطبار) الانحباس مطاوعا صبره إذا حبسه وهو مستعمل مجازا في إكثاره من الصلاة في النوافل ..

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ الَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الآيات (1-2) ..

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء:79].

***

(77) المجلد السابع ، الجزء السادس عشر صـ 342.

بصبرهم دخلوا في رحمة الله

قال الله تعالي: ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الآية 85 و86 من سورة الأنبياء.. [78]

عطف على(وأيوب) أي وأتينا إسماعيل وإدريس وذا الكفل حكماً وعلماً وجمع هؤلاء الثلاثة في سلك واحد لاشتراكهم في خصيصة الصبر كما أشار إليه.

قوله تعالي : ﴿ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴾ جرى ذلك لمناسبة ذكر المثل الأشهر في الصبر وهو أيوب، أما صبر إسماعيل عليه السلام فقد تقرر بصبره على الرضى بالذبح حين قال له إبراهيم : ﴿ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾

فقال : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ ..وتقرر سكناه بواد غير ذي زرع امتثالا لأمر أبيه المتلقى من الله تعالى..

وأما إدريس فهو اسم (أخنوخ) علي أرجح الأقوال، وقد ذكر أخنوخ في التوارة سفر التكوين جدا لنوح . ووصف بأنه صديق نبي وقد وصفه الله تعالى هنا فليعد في صف الصابرين، والظاهر أن صبره كان علي تتبع الحكمة والعلوم وما لقي في رحلاته من المتاعب وقد عدت من صبره قصص منها : أنه كان يترك الطعام والنوم مدة طويلة لتصفو نفسه للاهتداء إلي الحكمة والعلم)، وأما ذو الكفل فهو نبي اختلف في تعيينه فقيل : هو إلياس المسمي في كتب اليهود (إيليا) وقيل : هو خليفة (اليسع) في نبوة بني إسرائيل والظاهر أنه (عوبيديا) الذي له كتاب من كتب أنبياء اليهود وهو الكتاب الرابع من الكتب الاثنى عشر . وتعرف بكتب الأنبياء الصغار ..

(78) المجلد السابع ، الجزء السابع عشر صـ 128.

(والكفل) بكسر الكاف وسكون الفاء أصله النصيب من شئ مشتق من كفله إذا تعهد لقب بهذا بأنه تعهد بأمر بني إسرائيل .. لليسع .

وذلك أن اليسع لما كبر أراد أن يستخلف خليفة علي بني إسرائيل فقال : من يتكفل لي بثلاثة استخلفه ، أن يصوم النهار، ويقوم الليل ، ولا يغضب ..

فلم يتكفل له بذلك إلا شاب اسمه (عوبديا) وأنه ثبت على ما تكفل به فكان لذلك من أفضل الصابرين وقد عد (عوبديا) من أنبياء بني إسرائيل علي إجمال في خبرها نظر (سفر الملوك الأول) الإصحاح 18 ورؤيا عوبديا صفحة891 من الكتاب المقدس ..وروي العبري عن أبي

موسي الأشعري ومجاهد أن ذا الكفل لم يكن نبيا..وجملة ذلك (إنهم من الصالحين) تعليل لإدخالهم في الرحمة وتذييل للكلام يفيد أن تلك سنة الله مع جميع الصالحين..

***

الصبر فضيلة إسلامية

قال الله تعالي: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ الآية 35 سورة الحج .. [79]

المراد بالصبر: الصبر علي ما يصيبهم من الأذي في سبيل الإسلام . و أما الصبر في الحروب وعلي فقدان الأحبة فمما تنشر فيه النفوس الجلدة من المتكبرين والمخبتين.. [80]

وفي كثير من ذلك الصبر فضيلة إسلامية إذا كان تخلقا بأدب الإسلام ..

قال تعالي: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾..

***

(79) المجلد السابع ، الجزء السابع عشر صـ 128.

(80) المخبت المتواضع الذي لا تكبر عنده. والمراد بهم هنا المؤمنون.

★

صبر المؤمنين علي سخرية الكافرين أكسب الله المؤمنين به أجرا كبيرا

قال الله تعالي: ﴿ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ الآيات110و111من سورة المؤمنون.. [81]

قوله (بما صبروا) إدماج للتنويه بالصبر..والتنبيه علي أن سخريتهم بهم كانت سببا في صبرهم الذي أكسبهم الجزاء وفي ذلك زيادة تلهيف للمخاطبين بأن كانوا هم السبب في ضر أنفسهم ونفع من كانوا يعدونهم أعدائهم ..

***

(81) المجلد الثامن ، الجزء الثامن عشر صـ 128.

بعضهم لبعض فتنة

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ الآية رقم 20 من سورة الفرقان.. [82]

تذييل . فضمير الخطاب في قوله (بعضكم) يعم جميع الناس بقرينة السياق وكلا البعضين منهم يبينه المقام..وحال الفتنة في كلا البعضين مختلف فبعضها فتنة في العقيدة ..وبعضها فتنة في الأمن وبعضها فتنة في الأبدان..

والإخبار عنه بـ(فتنة) مجازي لأنه سبب الفتنة: وشمل أحد البعضين النبي ﷺ. والمؤمنين معه.

والبعض الآخر المشركين. فكان حال الرسول فتنة للمشركين..إذا زعموا أن حاله مناف للرسالة فلم يؤمنوا به وكان حال المؤمنين في ضعفهم فتنة للمشركين إذ ترفعوا عن الإيمان الذي يسويهم بهم .

فقد كان أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأضرابهم يقولون:

إن أسلمنا وقد أسلم قبلنا عمار بن ياسر وصهيب وبلال ترفعوا علينا إدلالا بالسابقة وهذا كقول صناديد قوم نوح لا نؤمن حتى تطرد الذين آمنوا بك

(82) المجلد الثامن ، الجزء الثامن عشر صـ 344.

فقال : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

وقال تعالى للنبي ﷺ : ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾.

والكلام تسلية للنبي ﷺ عن إعراض بعض قومه عن الإسلام. ولذلك عقب بقوله (أتصبرون) . وهو استفهام مستعمل في الحث والأمر .

كقوله : (فهل أنتم منتهون)، وموقع (وكان ربك بصيرا) موقع الحث على الصبر المأمور به أي هو عليهم بالصابرين..

وإيذان بأن الله لا يضيع جزاء الرسول على ما يلاقيه من قومه وأنه ناصره عليهم .. وفي الإسناد إلى وصف الرب مضافا إلي ضمير النبي إلماع إلى هذا الوعد .

فإن الرب لا يضيع أولياءه كقوله: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ أي النصر المحقق..

***

المشركون يرون أنهم على هدى

قال الله تعالي: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ الآيتان رقم 41و42 من سورة الفرقان.. [83]

أما قولهم ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾

فالمقصود منه تفاخرهم بتصلبهم في دينهم وأنهم كادوا أن يتبعواْ دعوة الرسول بما يلقيه إليهم من الإقناع والإلحاح فكان تأثر إسماعهم بأقواله يوشك بهم أن يرفضوا عبادة الأصنام لولا أنهم تريثوا فكان في التريث أن أفاقوا من غشاوة أقواله وخلابة استدلاله واستبصروا مرآه فانجلى لهم أنه لا يستأهل أن يكون مبعوثا من عند الله فلقد جمعوا من كلامهم بين تزييف حجته وتنويه ثباتهم في مقام يستفذ غير الراسخين في الكفر . وهذا الكلام مشوب بفساد الوضع .. ومؤلف على طرائق الدهماء إذ يتكلمون كما يشتهون ويستبلهون السامعين ومن خلابة المغالطة إسنادهم مقاربة الإضلال إلي الرسول دون أنفسهم ترفقا علي أن يكونوا قاربوا الضلال عن آلهتهم مع أن مقاربته إضلالهم تستلزم اقترابهم من الضلال.

وأن مخففة من (إن) المشددة والأكثر في الكلام إهمالهم أي ترك عملها نصب الاسم ورفع الخبر ، والجملة التي تليها يلزم أن تكون مسبوقة بفعل من أخوات كان أو أخوات ظن وهذا من غرائب الاستعمال.

(83) المجلد الثامن ، الجزء التاسع عشر صـ 31.

ولو ذهبنا إلي أن اسمها ضمير شأن وأن الجملة التي بعدها خبر عن ضمير الشأن كما ذهبوا إليه في (أن) المفتوحة الهمزة إذا خففت لما كان ذلك بعيد . وفي كلام صاحب الكشاف ما يشهد له في تفسير قوله تعالي: ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ في سورة آل عمران..

والجملة بعدها مستأنفة . واللام في قوله (ليضلنا) هي الفارقة بين (إن) المخففة وبين (إن) النافية.

والصبر: الاستمرار علي ما يشق عمله علي النفس.

ويعدى فعله بحرف (على) لما يقتضيه من التمكن من الشئ المستمر عليه.

قال تعالي: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ .

وهذا جواب قولهم ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ المتضمن أنهم على هدى في دينهم . وكان الجواب بقطع مجادلتهم وإحالتهم على حين رؤيتهم العذاب ينزل بهم فتضمن ذلك وعيداً بعذاب. والأظهر أن المراد عذاب السيف النازل بهم يوم بدر..

وممن رآه أبو جهل سيد أهل الوادي وزعيم القالة في ذلك النادي .

ولما كان الجواب بالإعراض عن المحاجة ارتكب فيه أسلوب التهكم بجعل ما ينكشف عنه المستقبل هو معرفة من هو أشد ضلالاً من الفريقين على طريقة المجاراة وإرخاء العنان للمخطئ إلى إن يقف على خطئه وقد قال. أبو جهل يوم بدر وهو مسخا بالجراح في حالة النزع لما قال له عبد الله بن مسعود: أنت أبو جهل ؟فقال: وهل أعمد من رجل قتله قومه ..

***

المؤمنون بصبرهم ينعمون في غرف الجنة

قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ الآيتان رقم 75 و76من سورة الفرقان.. (84)

صدرت الآية باسم الإشارة للتنبيه علي أن ما يرد بعده كانوا أحرياء به لأجل ما ذكر قبل اسم الإشارة.

وتلك مجموع إحدي عشرة خصلة وهي: (التواضع – الحلم – التهجد – الخوف – وترك الإسراف – وترك الإقتار- والتنزه عن الشرك- وترك الزنى – وترك قتل النفس – والتوبة – وترك الكذب – والعفو عن المسيء – وقبول دعوة الحق- وإظهار الاحتياج إلى الله بالدعاء).

واسم الإشارة هو الخبر عن قوله : «وعباد الرحمن» ..

والغرفة هي البيت المعتلي يصعد إليه بدرج وهو أعز منزلا من البيت الأرضي.

والتعريف في الغرفة تعريف الجنس فيستوي فيه المفرد والجمع

مثل قوله تعالي: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾.... فالمعنى يجوزون الغرف أي من الجنة قال تعالي: ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾... والباء للسببية .. و(ما) مصدريه في قوله (بما صبروا) أي بصبرهم وهو صبرهم علي ما لقوا من المشركين من أذى وصبرهم علي كبح شهواتهم لأجل إقامة شرائع الإسلام وصبرهم على مشقة الطاعات ..

***

(84) المجلد الثامن ، الجزء التاسع عشر صـ 84.

بصبر أهل الكمال أعطاهم الله سبع خصال

قال الله تعالي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

الآيتان رقم 54و55من سورة القصص.. (85)

التعبير عنهم باسم الإشارة هنا للتنبيه علي أنهم أحرياء بما سيذكر بعد اسم الإشارة من أجل الأوصاف التي ذكرت قبل اسم الإشارة .

وعدّ الله لهم سبع خصال من خصال أهل الكمال.. إحداها أخروية وهي :

﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ أي أنهم يؤتون أجرين علي إيمانهم أي يضاعف لهم الثواب لأجل أنهم آمنوا بكتابهم من قبل ثم آمنوا بالقرآن فعبر عن مضاعفة الأجر ضعفين بالمرتين تشبيها للمضاعفة بتكرير الإيتاء وإنما هو إيتاء واحد.

وفائدة هذا المجاز إظهار العناية حتى كأن المثيب يعطي ثم يكرر عطائه ففي﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ استعارة تمثيلية ..

وفي الصحيح عن أبي موسي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين»..

رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدركني فآمن بي، واتبعني وصدقني فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالي وحق سيده فله أجران ، ورجل كانت له أمَة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران).

(85) المجلد الثامن ، الجزء العشرون صـ 144.

وقال عطاء الخرساني : خذه بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلي المدينة.

والخصلة الثانية: الصبر. والصبر من أعظم خصال البر وأجمعها للمبررات وأعونها عن الزيادة، والمراد بالصبر صبرهم على أذى أهل ملتهم .

أو صبرهم على أذى قريش وهذا يتحقق في مثل الوفد الحبشي ولعله المراد من هذه الآية .. ولذلك اتبع بقوله ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ وقوله: ﴿وَقَالُوٓاْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾

.

والخصلة الثالثة: درؤهم السيئة بالحسنة .. وهي من أعظم خصال الخير وأدعاها إلي حسن المعاشرة .. قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ فيحصل بذلك فائدة دفع مضرة المسئ عن النفس وإسداء الخير إلى نفس أخرى.

فهم لم يردوا جلافة أبي جهل بمثلها ولكن بالإعراض مع كلمة حسنة وهي:

(سلام عليكم).

والخصلة الرابعة: الإنفاق، فلعلهم كانوا ينفقون على فقراء المسلمين مكة ولا يخفى مكانها من البر .

والخصلة الخامسة: الإعراض عن اللغو وهو الكلام العبث الذي لا فائدة فيه وهذا الخلق من مظاهر الحكمة. إذا لا ينبغي للعاقل أن يشغل سمعه ولبه بما لا جدوى له وبالأولى يتنزه عن أن يصدر منه ذلك.

والخصلة السادسة: الكلام الفصل وهو قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا من أحسن ما يجاب به السفهاء وهو أقرب لإصلاحهم وأسلم من تزايد سفههم.

ولقد أنطقهم الله بحكمة جعلها مستأهلة لأن تنظم في سلك الإعجاز فألهمهم تلك الكلمات ثم شرفها بأن حكيت في نسج القرآن كما ألهم عمر رضي الله عنه قوله ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الآية .. ومعني﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ أن أعمالنا مستحقة لنا كناية عن ملازمتهم إياها..

وأما قولهم ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ فهو تتميم على حد ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾.

والمقصود من السلام أنه سلام المتاركة المكنى بها عن الموادعة أي لا نعود لمخاطبتكم..

قال الحسن: كلمة السلام عليكم تحية بين المؤمنين. وعلامة الاحتمال من الجاهلين. ولعل القرآن غير مقالتهم بالتقديم والتأخير لتكون مشتملة علي الخصوصية المناسبة للإعجاز؛ لأن تأخير الكلام الذي فيه المتاركة إلي آخره لخطاب أولي ليكون فيه براعة المقطع وحذف القرآن قولهم : لم نأل أنفسنا رشدا . للاستغناء عنه بقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾..

الخصلة السابعة : ما أفصح عنه قولهم : (لا نبتغي الجاهلين) من أن ذلك خلقهم أنهم يتطلبون العلم ومكارم الأخلاق والجملة تعليل للمتاركة (أي لأننا لا نحب مخالطة أهل الجهالة بالله وبدين الحق وأهل خلق الجهل الذي هو ضد الحلم فأستعمل الجهل في معنية المشترك فيها ولعله تعريض بكنية أبي جهل الذي بذا عليهم بلسانه . والظاهر أن هذه الكلمة يقولونها بين أنفسهم ولم يجهروا بها لأبي جهل وأصحابه بقرينة قوله : ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ وقوله سلام عليكم ..

وبذلك يكون القول المحكي قولين قول وجهوه لأبي جهل وصحبه، وقول دار بين أهل الوفد.

***

المرء إن لم يكن متخلقا بالصبر خارت عزيمته

قال الله تعالي:﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ الآية رقم 80 من سورة القصص.. [86]

يجوز أن تكون الواو للعطف فهي من كلام الذين أوتوا العلم .

أمروا الذين فتنهم حال قارون بأن يصبروا على حرمانهم مما فيه قارون ويجوز أن تكون الواو اعتراضية والجملة معترضة من جانب الله تعالى علم بها عباده فضيلة الصبر ..

وضمير (يلقاها) عائد إلى مفهوم من الكلام يجري على التأنيث أي الخصلة وهي ثواب الله أو السيرة القويمة وهي سيرة الإيمان والعمل الصالح.

والتلقية . جعل الشئ لا قيا أي مجتمعا مع شئ آخر وهو مستعمل في الإعطاء على طريقة الاستعارة أي لا يعطي تلك الخصلة أو السيرة إلا الصابرون لأن الصبر وسيلة لنوال الأمور العظيمة لاحتياج السعى لها إلي تجلد لما يعرض في خلاله من مصاعب وعقبات كأداء .. فإن لم يكن المرء متخلقا بالصبر خارت عزيمته فترك ذاك لذلك..

***

(86) المجلد الثامن ، الجزء العشرون صـ 184.

الصبر والتوكل من خصال المؤمنين

قال الله تعالي: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الآية رقم 59 من سورة العنكبوت.. (87)

وقوله ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ خبر مبتدأ محذوف اتباعا للاستعمال والتقدير:

هم الذين صبرواْ..

والمراد . صبرهم علي إقامة الدين وتحمل أذى المشركين وقد علمواْ أنهم لا قوة لهم فتوكلواْ على ربهم ولم يعبأواْ بقطيعة قومهم ولا بحرمانهم من أموالهم ثم فارقوا أوطانهم فرارا بدينهم من الفتن ..

ومن اللطائف مقابلة غشيان العذاب الكفار من فوقهم ومن تحت أرجلهم بغشيان النعيم للمؤمنين من فوقهم بالغرف ومن تحتهم بالأنهار..

(87) المجلد الثامن ، الجزء الحادي و العشرون صـ 23.

انتصر رسول الله على المكذبين بالصبر

قال الله تعالي: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ الآية رقم 60من سورة الروم.. [88]

الأمر للنبي ﷺ بالصبر تفرع علي جملة ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ لتضمنها تأيسه من إيمانهم ..

وحذف متعلق الأمر بالصبر لدلالة المقام عليه . أي أصبر علي تعنتهم ..

وجملة (إن وعد الله حق) تعليل للأمر بالصبر وهو تأنيس للنبي ﷺ .. بتحقيق وعد الله من الانتقام من المكذبين ومن نصر الرسول عليه الصلاة والسلام.

والحق : مصدر حق يحق بمعني ثبت . فالحق . الثابت الذي لا ريب فيه ولا مبالغة..

والاستخفاف : مبالغة في جعله خفيفا فالسين والتاء للتقوية مثلها في نحو استجاب واستمسك وهو ضد الصبر. والمعنى : لا يحملنك علي ترك الصبر..

***

(88) المجلد الثامن ، الجزء الحادي والعشرون صـ 135.

لقمان يعلم ابنه أصول الأعمال الصالحة

قال الله تعالي:﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ الآية رقم 17 من سورة لقمان.. [89]

انتقل لقمان من تعليمه لولده أصول العقيدة إلي أصول الأعمال الصالحة فابتدأها بإقامة الصلاة ، والصلاة التوجه إلي الله بالخضوع والتسبيح والدعاء في أوقات معينة في الشريعة التي يدين بها لقمان والصلاة عماد الأعمال . لاشتمالها علي الاعتراف بطاعة الله وطلب الاهتداء بالعمل الصالح .

وإقامة الصلاة إدامتها والمحافظة عليها في أوقاتها وشمل الأمر بالمعروف الإتيان بالأعمال الصالحة كلها علي وجه الإجمال ليتطلب بيانه في تضاعيف وصايا أبيه كما شمل النهي عن المنكر اجتناب الأعمال السيئة كذلك.

والأمر بأن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر يقتضي إتيان الأمر وانتهاءه في نفسه.

لأن الذي يأمر بفعل الخير وينهي عن فعل الشر يعلم ما في الأعمال من خير وشر ومصالح ومفاسد . فلا جرم أن يتوقاها في نفسه بالأولوية من أمره الناس ونهيه إياهم.

فهذه كلمة جامعة من الحكمة والتقوى إذ جمع لابنه الإرشاد إلى فعله الخير وبثه في الناس وكفه عن الشر وزجره الناس عن ارتكابه . ثم أعقب ذلك بأن أمره بالصبر علي ما يصيبه ووجه تعقيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بملازمة الصبر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يجران للقائم بهما معاداة من بعض الناس أو أذي من بعض فإذا لم يصبر علي ما يصيبه من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوشك أن يتركهما .

(89) المجلد الثامن ، الجزء الحادي والعشرون صـ 164.

ولما كانت فائدة الصبر عائدة علي الصابر بالأجر العظيم عُدّ الصبر هنا في عداد الأعمال القاصرة علي صاحبها. ولم يلتفت إلي ما في تحمل أذى الناس من حسن المعاملة معهم حتى يذكر الصبر مع قوله تعالي :

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ لأن ذلك ليس هو المقصود الأول من الأمر بالصبر.

والصبر . هو تحمل ما يحل بالمرء مما يؤلم أو يحزن .

***

الكون به آيات كثيرة تدل على وجود الصانع

قال الله تعالي: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ الآية رقم 31 من سورة لقمان.. (90)

والمعني أن جري السفن فيه حكم كثيرة مقصودة من تسخيره منها أن يكون آية للناس علي وجود الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته. وليس يلزم من لام التعليل انحصار الغرض من المعلل في مدخولها لأن العلة جزئية لا كلية .. وجملة:

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ لها موقع التعليل بجملة: « يريكم من آياته » ولها موقع الاستئناف البياني إذ يخطر ببال السامع أن يسأل كيف لم يهتد المشركون بهذه الآيات؟

فأفيد أن الذي ينتفع بدلالتها علي مدلولها هو «كل صبار شكور»وذلك ثناء على هذا الفريق صريحة وتعريضا للذين لم ينتفعوا بدلالتها..

واقتران الجملة بحرف (إن) لأنه يفيد في مثل هذا المقام معني التعليل والتسبب وجعل ذلك في عدة آيات لأن في ذلك دلائل كثيرة ..

والصبار: مبالغة في الموصوف بالصبر. والشكور كذلك أي الذين لا يفارقهم الوصفان . وهذان وصفان للمؤمنين الموحدين.. في الصبر في الضراء والشكر في السراء .. إذ يرجون بهما رضى الله تعالى الذي لا يتوكلون إلا عليه في كشف الضر والزيادة من الخير .

(90) المجلد الثامن ، الجزء الحادي والعشرون صـ 188.

وقد تخلقوا بذلك لما سمعوا من الترغيب في الوصفين والتحذير من ضدهما قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ فهو بين رجاء الثواب وخوف العقاب؛ لأنهم آمنواْ بالحياة الخالدة ذات الجزاء وعلموا أن مصيرهم إلى الله الذي أمر ونهى فصار لهم خلقا تتطبعوا عليه فلم يفارقهم إلا نادرا.

فأما المشركون فنظرهم قاصر علي الحياة الحاضرة فهم أسراء العالم الحسي فإذا أصابهم ضر ضجروا وإذا أصابهم نفع بطروا فهم أخلياء من الصبر والشكر فلذلك كان قوله: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾كناية رمزية عن المؤمنين وتعريضا رمزيا للمشركين.

ووجه إيثار خلقي الصبر والشكر هنا للكناية بهما من شعب الإيمان أنهما أنسب بمقام السير في البحر إذ راكب البحر بين خطر وسلامة وهما مظهر الصبر والشكر وفي قوله ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ حسن التخلص إلي التفصيل الذي عقبه في قوله : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ ﴾ الآية .. فعطف علي آيات سير الفلك إشارة إلي أن الناس يذكرون الله عند تلك الآيات عند الاضطرار..

وغفلتهم عنها في حال السلامة..

***

أصحاب رسول الله أئمة لدين الإسلام

قال الله تعالي: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ الآية رقم 24 من سورة السجدة.. [91]

أشير إلي ما منّ الله به على بني إسرائيل إذ جعل منهم أئمة يهدون بأمر الله والأمر يشمل الوحي بالشريعة لأنه أمر بها ويشمل الانتصاب للإرشاد فإن الله أمر العلماء أن يبينوا الكتاب ويرشدواْ إليه فإذا هدوا بأمره وبالعلم الذي أتاهم به أنبياؤهم وأحبارهم فأنعم الله عليهم بذلك لما صبروا وأيقنوا لما جاءهم من كتاب الله ومعجزات رسولهم .

فإن كان المراد من قوله: ﴿ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ دلائل صدق موسى عليه السلام فالمعني : أنهم صبرواْ على مشاق التكليف والخروج بهم من أرض مصر ومالقوه من فرعون وقومه من العذاب والاضطهاد وتيههم في البرية أربعين سنة وتدبروا في الآيات ونظروا حتى أيقنوا.

وإن كان المراد من الآيات ما في التوراة من الشرائع والمواعظ، فإطلاق اسم الآيات عليها مشاكلة تقديرية لما هو شائع بين المسلمين من تسمية جمل القرآن آيات لأنها معجزة في بلاغتها خارجة عن طوق تعبير البشر فكانت دلالات علي صدق محمد ﷺ .. وهذا نحو ما وقع في حديث رجم اليهوديين من قول الراوي فوضع اليهودي يده علي آية الرجم. أي الكلام الذي فيه حكم الرجم في التوراة فسماه الراوي آية مشاكلة لكلام القرآن.

وفي هذا تعريض بالبشارة لأصحاب رسول الله ﷺ . بأنهم يكونون أئمة لدين الإسلام وهداة للمسلمين إذا صبروا على مالحقهم في ذات الله من أذى قومهم وصبروا على مشاق التكليف . ومعاداة أهلهم وقومهم وظلمهم إياهم..

***

(91) المجلد الثامن ، الجزء الحادي والعشرون صـ 237.

★ شريعة الإسلام تعم الرجال والنساء إلا ما نص على تخصصه بأحد الصنفين

قال تعالي : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الآية رقم 35 من سورة الأحزاب.. [92]

روي ابن جرير و الواحدي عن قتادة : أن نساء دخلت علي أزواج النبي ﷺ فقلن قد ذكركن الله في القرآن ولم يذكرنا بشئ ولو كان فينا خير لذكرنا فأنزل الله هذه الآية ..

وروي الترمذي والطبراني أن أم عمارة الأنصارية : أتت النبي ﷺ. فقالت : ما أرى النساء يذكرن بشئ فنزلت هذه الآية ..

وقال الواحدي: قال مقاتل بلغني أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب دخلت على نساء النبي فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟؟ .. قيل: لا . فأتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار.. قال: ومم ذلك؟؟ .. قالت: لأنهن لا يذكرون بالخير كما تذكر الرجال.. فأنزل الله هذه الآية ..

(92) المجلد التاسع ، الجزء الثاني والعشرون صـ 19.

فالمقصود من أصحاب هذه الأوصاف المذكورة النساء.. وأما ذكر الرجال فللإشارة إلي أن الصنفين في هذه الشرائع سواء ليعلموا أن الشريعة لا تختص بالرجال ..لا كما كان معظم شريعة التوراة خاصة بالرجال إلا الأحكام التي لا تتصور في غير النساء فشريعة الإسلام بعكس ذلك الأصل في شرائعها أن تعم الرجال والنساء إلا ما نص على تخصيصه بأحد الصنفين..

ولعل هذه الآية وأمثالها تقرر أصل التسوية فأغنى عن التنبيه عليه في معظم أقوال القرآن والسنة. ولعل هذا هو وجه تعدد الصفات المذكورة لئلا يتوهم التسوية في خصوص الصفة الواحدة وسُلك مسلك الإطناب بتعداد الأوصاف بأن المقام لزيادة البيان لاختلاف أفهام الناس في ذاك علي أن في هذا التعداد إيماء إلى أصول التشريع .

وبهذه الآثار يظهر اتصال هذه الآيات بالتي قبلها ..وبه يظهر وجه تأكيد هذا الخبر بحرف (إن) لدفع شك من شك في هذا الحكم من النساء

ومراد (بالمسلمين والمسلمات) من اتصف بهذا المعني المعروف شرعا.

والإسلام بالمعنى الشرعي هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت.

ولا يعتبر إسلاماً إلا مع الإيمان.

وذكر المؤمنين والمؤمنات بعده للتنبيه على أن الإيمان هو الأصل.

﴿ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ أصحاب القنوت.. وهو الطاعة لله وعبادته ..

﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ من حصل منهم صدق القول وهو ضد الكذب والصدق كله حسن

والكذب لا خير فيه إلا لضرورة . وشمل ذلك الوفاء بما يلتزم به من أمور الديانة كالوفاء بالعهد والوفاء بالنذر ..

وبـ ﴿ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ ﴾ أهل الصبر والصبر محمود في ذاته لدلالته علي قوة العزيمة. ولكن المقصود هنا هو تحمل المشاق في أمور الدين وتحمل المكاره في الدفاع عن الحوزة الإسلامية ..

والصبر وهو خلق عظيم . هو مفتاح أبواب محامد الأخلاق والآداب والإنصاف من النفس ..

***

الواجب على المؤمن الصبر على المكاره

قال الله تعالي: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَـٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَـٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ الآية رقم 19 من سورة سبأ.. [93]

والجمع بين صبار وشكور في الوصف لإفادة أن واجب المؤمن التخلق بالخلقين وهما: الصبر علي المكاره والشكر علي النعم . وهؤلاء المتحدث عنهم لم يشكرواْ النعمة فبطروها .ولم يصبروا علي ما أصابهم من زوالها . فاضطربت نفوسهم وعماهم الجزع فخرجواْ من ديارهم وتفرقواْ في الأرض ولا تسأل عما لاقوه في ذلك من المتآلف والملذات . فالصبار يعتبر من تلك الأحوال فيعلم أن الصبر علي المكاره خير من الجزع ويرتكب أخف الضررين .

ولا يستخفه الجزع فيلقي بنفسه إلى الأخطار ولا ينظر في العواقب .

والشكور : يعتبر بما أعطى من النعم فيزداد شكراً لله تعالى ولا يبطر النعمة ولا يطغى فيعاقب بسلبها كما سلبت عنهم . ومن وراء ذلك أن يلهمهم الله التوفيق ..

***

(93) المجلد التاسع ، الجزء الثاني والعشرون صـ 176.

حكمة الله حصلت من الابتلاء

قال الله تعالي: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الآية رقم 101و102 من سورة الصافات. [94]

الفاء في (فبشرناه) للتعقيب . والبشارة. الإخبار بخبر وارد عن قرب أو على بُعْد . فإن كان الله بشر إبراهيم عليه السلام بأنه يولد له ولد أو يوجد له نسل عقب دعائه كما هو الظاهر وهو صريح في سفر التكوين في الإصحاح الخامس عشر فقد أخبره بأنه استجاب له وأنه يهبه ولدا بعد زمان .

فالتعقيب على ظاهره، وإن كان الله بشره بغلام بعد ذلك حين حملت منه هاجر جاريته بعد خروجه بمدة طويلة فالتعقيب نسبي أي بشرناه حين قدرنا ذلك أول بشارة بغلام فصار التعقيب أملا إلى المبادرة كما يقال : تزوج فولد له: وعلى الاحتمالين فالغلام الذي بشر به هو الولد الأول الذي ولد له وهو إسماعيل لا محالة.

والحليم . الموصوف بالحلم وهو اسم يجمع أصالة الرأي ومكارم الأخلاق والرحمة بالمخلوق.

قيل : ما نعت الله الأنبياء بأقل مما نعتهم بالحلم وهذا الغلام الذي بشر به إبراهيم هو إسماعيل ابنه البكر وهذا غير الغلام الذي بشره به الملائكة الذين أرسلوا إلي قوم لوط في قوله تعالي : ﴿ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ فلذلك وصف بأنه (عليم) وهذا وصف بأنه (حليم)

وأيضا ذلك كانت البشارة به بمحضر سارة أمه وقد جعلت هي المبشرة في قوله تعالي: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ قالت:

(94) المجلد التاسع ، الجزء الثالث والعشرون صـ 149.

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ فتلك بشارة كرامة .

والأولي بشارة استجابة دعاء . فلما ولد له إسماعيل تحقق أمل إبراهيم أن يكون له وارث من صلبه فالبشارة بإسماعيل لما كانت عقب دعاء إبراهيم أن يهب الله له من الصالحين عطف هنا بفاء التعقيب .

وبشارته بإسحاق ذكرت في هذه السورة معطوفة بالواو عطف القصة على القصة ...

والفاء في «فلما بلغ معه السعي» فصيحة؛ لأنها مفصحة عن مقدر تقديره: فولد له ويفع وبلغ السعي فلما بلغ السعي قال : يا بني إلى آخره .

أي بلغ أن يسعى مع أبيه. أي بلغ سن من يمشي مع إبراهيم في شؤونه .

فقوله (معه) متعلق بالسعي والضمير المستتر في (بلغ) للغلام والضمير المضاف إليه معه عائد إلي إبراهيم.. (والسعي) مفعول بلغ ولا حجة لمن منع تقدم معمول المصدر عليه. علي أن الظروف يتوسع فيها ما لا يتوسع في غيرها من المعمولات.

وكان عُمْر إسماعيل يومئذ ثلاث عشرة سنة، وحينئذ حدث إبراهيم ابنه بما رآه في المنام ورؤيا الأنبياء وحي، وكان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة ولكن الشريعة لم يوح بها إليه إلا في اليقظة مع رؤية جبريل دون رؤيا المنام . وإنما كانت الرؤيا وحيا له في غير التشريع . تمثل الكشف عما يقع . و ما أعد له . و بعض ما يحل بأمته أو بأصحابه.

فقد رأي في المنام أنه يهاجر من مكة إلي أرض ذات نخل فلم يهاجر حتى أذن له في الهجرة كما أخبر بذلك أبا بكر رضي الله عنه . ورأى بقراً تذبح فكان تأويل رؤيا من استشهد من المسلمين يوم أحد ولقد يرجح قول القائلين من السلف بأن الإسراء برسول الله ﷺ كان يقظة وبالجسد علي قول القائلين بأنه كان في المنام وبالروح خاصة .

فإن في حديث الإسراء أن الله فرض الصلاة في ليلته والصلاة ثاني أركان الإسلام فهي حقيقة بأن تفرض في أكمل أحوال الوحي للنبي ﷺ وهو حال اليقظة فافهم.

وأمر الله إبراهيم بذبح ولده أمر ابتلاء وليس: المقصود به التشريع إذ لو كان تشريعا لما نسخ قبل العمل به لأن ذلك يفيت الحكمة من التشريع بخلاف أمر الابتلاء. والمقصود من هذا الابتلاء إظهار عزمه وإثبات علو مرتبته في طاعة ربه فإن الولد عزيز علي نفس الوالد والولد الوحيد الذي هو أمل الوالد في مستقبله أشد عزة على نفسه لا محالة.

ولقد علمت أنه سأل ولداً ليرثه نسله ولا يرثه مواليه فبعد أن أقر الله عينه بإجابة سؤاله وترعرع ولده أمره بأن يذبحه فينعدم نسله ويخيب أمله ويزول أنسه ويتولى بيده إعدام أحب النفوس إليه وذلك أعظم الابتلاء فقابل أمر ربه بالإمتثال وحصلت حكمه الله من ابتلائه وهذا معنى قوله تعالي: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾

وإنما برز هذا الابتلاء في صورة الوحي المنامي إكراماً لإبراهيم عن أن ينزعج بالأمر بذبح ولده بوحي في اليقظة؛ لأن رؤيا المنام يعقبها تعبيرها إذ قد تكون مشتملة علي رموز خفية وفي ذلك تأنيس لنفسه لتلقي هذا التكليف الشاق عليه وهو ذبح ابنه الوحيد ..

والفاء في قوله « فانظر ماذا تري » فاء تفريع . أو هي فاء الفصيحة والمعنى إذا علمت هذا

فانظر ماذا ترى . والنظر هنا نظر العقل لا نظر البصر فحقه أن يتعدى إلي مفعولين ولكن علقه الاستفهام عن العمل .

والمعنى : تأمل في الذي تقابل به هذا الأمر وذلك لأن الأمر لما تعلق بذات الغلام كان للغلام حظ في الامتثال وكان عرض إبراهيم هذا علي ابنه عرض اختيار لمقدار طواعيته بإيجابة أمر الله في ذاته لتحصل له بالرضى .

والامتثال مرتبة بذل نفسه في إرضاء الله وهو لا يرجو من ابنه إلا القبول لأنه أعلم بصلاح ابنه .. وليس إبراهيم مأمورا بذبح ابنه جبرا بل الأمر بالذبح تعلق بمأمورين: أحدهما بتلقي الوحي. والآخر بتبليغ الرسول إليه فلو قدر عصيانه لكان حاله في ذلك حال ابن نوح الذي أبي أن يركب السفينة لما دعاه أبوه فاعتبر كافرا ..

وقرأ الجمهور (ماذا ترى) بفتح التاء والراء، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء وكسر الراء أي ماذا ترُيني من امتثال أو عدمه...

وحكي جوابه فقال : ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ دون عطف. جريا على حكاية المقاولات كما

تقدم عند قوله تعالي: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ في سورة البقرة..

وابتداء الجواب بالنداء واستحضار المنادي بوصف الأبوة وإضافة الأب إلي ياء المتكلم المعوض عنها التاء المشعر تعويضها بصيغة ترقيق وتحنن .

والتعبير عن الذبح بالموصول وهو (ما تؤمر) دون أن يقول: اذبحني يفيد وحده إيماء إلي السبب الذي جعل جوابه امتثال لذبحه.

وحذف المتعلق بفعل (تؤمر) لظهور تقديره: أي ما تؤمر به .

وبقي الفعل كأنه من الأفعال المتعدية وهذا الحذف يسمى بالحذف والإيصال كقول عمرو بن معد يكرب:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به . فقد تركت ذا مال وذا نشب..

وصيغة الأمر في قوله (افعل) مستعملة في الإذن. وعدل على أن يقال اذبحني إلى ﴿ٱفۡعَلۡ

مَا تُؤۡمَرُۖ﴾للجمع بين الإذن وتعليله. أي أذنت لك أن تذبحني لأن الله أمرك بذلك ففيه تصديق

أبيه وامتثال أمر الله فيه .

وجملة ستجدني هي الجواب لأن الجمل التي قبلها تمهيد للجواب كما علمت فإنه بعد أن حثه علي فعل ما أمر به وعده بالامتثال له وبأنه لا يجزع ولا يهلع بل يكون صابرا وفي ذلك تخفيف من عبء ما عسى أن يعرض لأبيه من الحزن لكونه يعامل ولده بما يكره. وهذا وعد قد وفي به حين أمكن أباه من رقبته ..

وهو الوعد الذي شكره الله عليه في الآية الأخرى في قوله تعالى:

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ ﴾ وقد قرن وعده .

بـ(إن شاء الله) استعانة علي تحقيقه . وفي قوله من (الصابرين) من المبالغة في اتصافه بالصبر ما ليس في الوصف.. بصابر لأنه يفيد أنه سيجده في عداد الذين اشتهروا بالصبر. وعرفوا به ألا ترى أن موسى عليه السلام لما وعد الخضر قال ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ لأنه حمل على التصبر إجابة لمقترح الخضر ..

***

شك المشركون في دعوة النبي ﷺ وصبروا على عبادة آلهتهم

قال الله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ الآية رقم 6و7 من سورة (ص)... (95)

الانطلاق : حقيقته الانصراف والمشي، ويستعمل استعمال أفعال الشروع؛ لأن الشارع ينطلق إليه ونظيره في ذلك اذهب بفعل كذا كما في قول النبهاني:

فإن كنت سيدنا سدتنا ... وإن كنت للخال فاذهب فخل.

وكما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟﴾ في سورة الكهف..

وقيل : إن الانطلاق هنا على حقيقته .

أي وانصرف الملأ منهم عن مجلس أبي طالب .

والملأ سادة القوم ...قال ابن عطية : قائل ذلك عقبة ابن أبي معيط

وقال غير ابن عطية : إن من القائلين أبا جهل والعاص بن وائل . والأسود بن عبد يغوث، و(إن) تفسيرية لأن الانطلاق إن كان مجازا فهو في الشروع فقد أريد به الشروع في الكلام فكان فيه معنى القول دون حروفه فاحتاج إلي تفسير بكلام مقول، وإن كان الانطلاق علي حقيقته فقد تضمن انطلاقهم عقب التقاول بينهم بكلامهم الباطل (هذا ساحر) إلي قوله (عجاب) يقتضي أنهم انطلقوا متحاورين في ماذا يصنعون فكان ذلك مقتضيا تحاورا وتقاولا احتيج إلي تفسيره بجملة ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾.

(95) المجلد التاسع ، الجزء الثالث والعشرون صـ 210 .

والأمر بالمشي يحتمل أن يكون حقيقة أي انصرفوا عن هذا المكان مكان المجادلة واشتغلوا بالثبات علي آلهتكم .

ويجوز أن يكون مجازا في الاستمرار علي دينهم كما يقال: كما سار الكرام . أي اعمل كما عملوا ومنه سميت الأخلاق والأعمال المعتادة سيرة .

والصبر الثبات والملازمة يقال: صبر الدابة إذا ربطها .

ومنه سمي الثبات عند حلول الضر صبراً لأنه ملازمة للحلم والأناة بحيث لا يضطرب بالجزع ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ وحرف (علي)يدل على تضمين (اصبروا) بمعني اعكفوا واثبتوا فحرف (علي) هنا للاستعلاء المجازي وهو المتمكن مثل

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾وليس هو حرف (علي) المتعارف تعديه فعل الصبر به في نحو قوله: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾.

فإن ذلك بمعنى (مع) ولذلكم يخلفه اللام في مثل ذلك الموقع نحو قوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ ولابد هنا من تقدير مضاف أي علي عبادة آلهتكم فلا يتعدى إلى مفعول إن كان مجازا فهو في الشرع فقد أريد به في الكلام فكان .

وجملة ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ تعليل للأمر بالصبر علي آلهتهم لقصد تقوية شكهم في صحة دعوة النبي ﷺ بأنها شئ أراده لغرض أي ليس صادقا ولكنه مصنوع مراد منه مقصد كما يقال: هذا أمر دبر بليل فالإشارة بـ(هذا) إلي ما كانوا يسمعونه في المجلس من دعوة النبي ﷺ إياهم أن يقولوا لا اله إلا الله وقوله : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ من كلام الملأ والإشارة إلي ما أشير إليه بقولهم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ أي هذا القول وهو ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ ..

***

النصر للرسل مع الصبر علي أذى قومهم

قال الله تعالي: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ الآية رقم 17 من سورة (ص).. (96)

أعقب حكاية أقوالهم من التكذيب ابتداء من قوله: ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ إلي هنا يأمر الله رسوله ﷺ بالصبر علي قولهم إذا كان جميعها أذي إما صريحا كما قالوا (ساحر كذاب) وقالواْ إن (هذا إلا اختلاق) إن هذا لشئ يراد .

وإما ضمنا .و ذلك ما في سائر أقوالهم من إنكار ما جاء به الرسول ﷺ والاستهزاء بقولهم ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ من إثبات أن الإله واحد ويشمل ما يقولونه مما لم يحك في أول هذه السورة.

وقوله ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ﴾ إلي آخره يجوز أن يكون عطفا على قوله :﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ بأن اتبع أمره بالصبر أسوة ببعض الأنبياء السابقين فيما لقوة من الناس ثم كانت لهم عاقبة النصر وكشف الكرب .

ويجوز أن يكون عطفا على مجموع ما تقدم عطف القصة والغرض هو هو.

وابتدئ بذكر داود؛ لأن الله أعطاه ملكا وسلطانا لم يكن لآبائه، ففي ذكره إيماء إلي أن شأن محمد ﷺ سيصير إلى العزة والسلطان ولم يكن له سلف ولا جلد، فقد كان حال النبي ﷺ أشبه بحال داود عليه السلام، وأدمج في خلال ذلك الإيماء إلى التحذير من الضجر في ذات الله تعالى واتقاء مراعاة حظوظ النفس في سياسة الأمة إبعاده لرسوله ﷺ عن مهاوي الخطأ والزلل..

***

(96) المجلد التاسع ، الجزء الثالث والعشرون صـ 226 .

الصبر يقي من الفتن

قال الله تعالى: ﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ الآية رقم 44 من سورة (ص).. [97]

ومعني وجدناه : أنه ظهر في صبره ما كان في علم الله منه .

وقوله:﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ مثل قوله في سليمان: ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾..

فكان سليمان أوابا لله من فتنة الغني والنعيم وكان أيوب أوابا لله من فتنة الضر والاحتياج، وكان الثناء عليهما متماثلا لاستوائهما في الأوبة وإن اختلفت الدواعي.

قال : سفيان : أثنى الله على عبدين ابتليا: أحدهما صابر والآخر شاكر ثناء واحدا .

فقال: لأيوب ولسليمان ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾..

***

(97) المجلد التاسع ، الجزء الثالث والعشرون صـ 275 .

مراتب الصبر متفاوتة وبقدرها يتفاوت الأجر

قال الله تعالي: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الآية رقم 10 من سورة الزمر ..[98]

وموقع جملة: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» موقع التنزيل لجملة .

« للذين أحسنوا » وما عطف عليها لأن مفارقة الوطن والتغرب والسفر مشاق لا يستطيعها

إلاصابر فذيل الأمر به بتعظيم أجر الصابرين ليكون إعلاماً للمخاطبين بأن أجرهم علي ذلك عظيم لأنهم حينئذ من الصابرين الذين أجرهم بغير حساب ..

والصبر سكون النفس عند حلول الآلام والمصائب بأن لا تضجر ولا تضطرب لذلك وصيغة العموم في قوله (الصابرين) تشمل كل من صبر على مشقه في القيام بواجبات الدين وامتثال المأمورات واجتناب المنهيات ومراتب هذا الصبر متفاوتة وبقدرها يتفاوت الأجر ..

والتوفية : إعطاء الشئ وافيا . أي تاما..

والأجر : الثواب في الآخرة كما هو مصطلح القرآن .

وقوله (بغير حساب) عناية عن الوفرة والتعظيم لأن الشئ الكثير لا يتصدى لعده والشئ والشئ العظيم لا يحاط بمقداره فإن الإحاطة بالمقدار ضرب من الحساب وذلك شأن ثواب الآخرة الذي لا يخطر علي قلب بشر ..

وفي ذكر التوفية وإضافة الأجر إلي ضميرهم تأنيس لهم بأنهم استحقوا ذلك لا منة عليهم فيه وان كانت المنة لله على كل حال على نحو قوله تعالى:

(98) المجلد التاسع ، الجزء الثالث والعشرون صـ 321 .

﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾..

والحصر المستفاد من (إنما) منصب علي القيد وهو (بغير حساب)

والمعنى: ما يوفي الصابرون أجرهم إلا بغير حساب. وهو قصد قلب مبني على قلب ظن الصابرين أن أجر صبرهم بمقدار صبرهم. أي أن أجرهم لا يزيد على مقدار مشقة صبرهم .

والهجرة إلى الحبشة كانت سنة خمس قبل الهجرة إلي المدينة.

وكان سببها أن رسول الله ﷺ لما رأي ما يصيب أصحابه من البلاء وأن عمه أبا طالب كان يمنع ابن أخيه من إضرار المشركين ولا يقدر أن يمنع أصحابه قال رسول الله ﷺ :

((لو خرجتم إلي أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه))

فخرج معظم المسلمين مخافة الفتنة فخرج ثلاثة وثمانون رجلا وتسع عشرة امرأة سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغارا .. وقد كان أبو بكر الصديق استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له فخرج قاصدا بلاد الحبشة فلقيه ابن الدغنة فصده وجعله في جواره.

ولما تعلقت إرادة الله تعالى بنشر الإسلام في مكة بين العرب لحكمة اقتضت ذلك وعذر بعض المؤمنين فيما لقوه من الأذى في دينهم أذن لهم بالهجرة وكانت حكمته مقتضية بقاء رسول الله ﷺ بين ظهراني المشركين لبث دعوة الإسلام لم يأذن له بالهجرة إلي موطن آخر حتى إذا تم مراد الله من تثبيت نواة الدين في تلك الأرض التي نشأ فيها رسوله ﷺ .

وأصبح انتقال الرسول ﷺ إلى بلد آخر أسعد بانتشار الإسلام في الأرض أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة بعد أن هيأ له بلطفه دخول أهلها في الإسلام وكل ذلك جرى بقدر وحكمة ولطف برسوله ﷺ ..

***

النصر مع الصبر ووعد الله حق

قال الله تعالي: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ الآية رقم 55 من سورة غافر.. (99)

تفريع علي قوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ﴾ أي فاعلم أنا ناصِرُوك والذين ءآمنواْ .. واصبر علي ما تلاقيه من قومك ولا تهن، وجملة ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ تعليل للأمر بالصبر.

وإن للاهتمام بالخبر وهي في مثل هذا المقام تغني غناء فاء التعليل ..

فكأنه قيل: فوعد الله حق ويفاد بأن التأكيد الذي هو للاهتمام والتحقيق.

ووعد الله هو وعد رسوله بالنصر في الآية السابقة..وفي غير ما آية..

والمعنى لا تستبطئ النصر فإنه واقع وذلك ما نصر به النبي ﷺ في أيامه علي المشركين يوم بدر ويوم الفتح ويوم حنين وفي أيام الغزوات الأخرى . وما عرض من الهزيمة يوم أحد كان امتحانا وتنبيها علي سوء مغبة عدم الحفاظ على وصية الرسول ﷺ أن لا يبرحواْ من مكانهم

ثم كانت العاقبة للمؤمنين ..

وعطف على الأمر بالصبر الأمر بالاستغفار والتسبيح فكانا داخلين في سياق التفريع على الوعد بالنصر رمز إلى تحقيق الوعد لأنه أمر عقبه بما هو من آثار الشكر كناية عن كون نعمة النصر حاصلة لامحالة وهذه كناية رمزية..

(99) المجلد التاسع ، الجزء الرابع والعشرون صـ 170 .

اصبر فإن المكذبين لك غير مفلتين من العقاب

قال الله تعالي: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴾..الآية رقم 77 من سورة غافر .. (100)

فلما حصل الوعد بالانتصاف من مكذبي النبي ﷺ في الدنيا والآخرة أعقب بقوله ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ ﴾

فإن مناسبة الأمر بالصبر عقب ذلك أن يكون تعريضا بالانتصار له، ولذلك فرع علي الأمر بالصبر الشرط المردود بين أن يريه بعض ما توعدهم الله به وبين أن لا يراه ..

فإن جواب الشرط حاصل علي كلتا الحالتين وهو مضمون ﴿فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴾ أي أنهم غير مفلتين من العقاب، فلا شك أن أحد الترديدين هو أن يري النبي ﷺ عذابهم في الدنيا ..

ولهذا كان للتأكيد بـ(إن) في قوله ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٞ ﴾موقعه وذلك أن النبي ﷺ والمؤمنين استبطأوا النصر كما قال تعالي:

﴿وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ ﴾

(100) المجلد التاسع ، الجزء الرابع والعشرون صـ 207.

فنزلوا منزلة المتردد فيه فأكد وعده بحرف التوكيد والتعبير بالمضارع في

قوله (يرجعون) لإفادته التجدد فيشعر بأنه رجوع إلى الله في الدنيا..

***

النار مثواهم ولم يُقْبل عذرهم

قال الله تعالي: ﴿ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ الآية رقم 24 من سورة فصلت.. (101)

تفريع على جواب (إذا) على كلا الوجهين المتقدمين . أو تفريع على جملة ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾. أو هو جواب (إذا) وما بينهما اعتراض علي حسب ما يناسب الوجوه المتقدمة.

والمعنى على جميع الوجوه: أن حاصل أمرهم أنهم قد زج بهم في النار فإن صبروا واستسلموا فهم باقون في النار وإن اعتذروا لم ينفعهم العذر ولم يقبل منهم تنصل.

وقوله : ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْۖ ﴾ دليل جواب الشرط لأن كون النار مثوى لهم ليس مسببا علي حصول صبرهم وإنما هو من باب قولهم: إن قُبِل ذلك فذاك..

أي فهو علي ذلك الحال فالتقدير: فإن يصبروا فلا يسعهم إلا الصبر لأن النار مثوى لهم.

ومعني ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ ﴾إن يسألوا العُتْبَي بضم العين وفتح الموحدة مقصور اسم مصدر الإعتاب وهي رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب.

(101) المجلد التاسع ، الجزء الرابع والعشرون صـ 273 .

وفي المثل (مايسئ من أعتب) أي من رجع عما أساء به فكأنه لم يسئ وقلما استعملوا المصدر الأصلي بمعنى الرجوع استغناء عنه باسم المصدر وهو العتبي، والعاتب هو اللائم والسين والتاء فيه للطلب؛ لأن المرء لا يسأل أحداَ أن يعاتبه وإنما يسأله ترك المعاتبة أي يسأله الصفح عنه فإذا قبل منه ذلك قبل : أعتبه أيضا وهذا من غريب تصريف هذه المادة في اللغة ولهذا كادواْ يميتواْ.

مصدر : أعتب بمعنى رجع وأبقوه في معني قبل العتبى . وهو المراد في قوله تعالي : ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ أي أن الله لا يعتبهم أي لا يقبل منهم.

***

من الأخلاق الفاضلة دفع السيئة بالحسنة

قال الله تعالي: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ الآيتان رقم 34و35 من سورة فصلت.. [(102)]

عطف علي جملة ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أو حال من (التي هي أحسن) وضمير (يلقاها) عائد علي التي هي أحسن باعتبار تعلقها بفعل (ادفع) أي بالمعاملة والمدافعة التي هي أحسن، فأما مطلق الحسنة فقد يحصل لغير الذين صبروا.

وهذا تحريض على الارتياض بهذه الخصلة بإظهار احتياجها إلى قوة عزم وشدة مراس للصبر على ترك هوي النفس في حب الانتقام وفي ذلك تنويه بفضلها بأنها تلازمها خصلة الصبر وهي في ذاتها خصلة حميدة وثوابها جزيل كما علم من عدة آيات في القرآن وحسبك ..

في قوله تعالي : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

فالصابر مرتاض بتجميل المكاره وتجرع الشدائد . وكظم الغيظ فيهون عليه ترك الانتقام (ويلقاها) يجعل لاقياً لها أي كقوله تعالي : ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ وهو مستعار للسعي لتحصيلها لأن التحصيل على الشئ بعد المعالجة والتخلق يشبه السعي لملاقاة أحد فيلقاه .

(102) المجلد التاسع ، الجزء الرابع والعشرون صـ 294 .

وجئ في (يلقاها) بالمضارع في الموضعين باعتبار أن المأمور بالدفع بالتي هي أحسن مأمور بتحصيل هذا الخلق في المستقبل .

وجئ في الصلة وهي (الذين صبروا) بالماضي للدلالة على أن الصبر خلق سابق فيهم وهو العون على معاملة المسئ بالحسنى .

ولهذه النكتة عدل عن أن يقال : إلا الصابرون لنكتة كون الصبر صفة فيهم متأصلة.

ثم زيد في التنويه بها بأنها ما تحصل إلا لذي حظ عظيم.

والحظ : النصيب من الشئ مطلقا وقيل : خاص بالنصيب من الخير .

والمراد هنا: نصيب الخير بالقرينة أو بدلالة الوضع. أي ما يحصل .

دفع السيئة بالحسنة إلا لصاحب نصيب عظيم من الفضائل أي من الخلق الحسن والاهتداء والتقوى.

فتحصل من هذين أن التخلق بالصبر شرط في الاضطلاع بفضيلة دفع السيئة بالتي هي أحسن وأنه ليس وحده شرطا فيها بل وراءه شروط أخري يجمعها قوله : (حظ عظيم) أي من الأخلاق الفاضلة والصبر من جملة الحظ العظيم؛ لأن الحظ العظيم أعم من الصبر.

وإنما خص الصبر بالذكر لأنه أصلها ورأس أمرها وعمودها .

وفي إعادة فعل (وما يلقاها) دون اكتفاء بحرف العطف إظهار لمزيد الاهتمام بهذا الخبر بحيث لا يستتر من صريحه شئ تحت العاطف وأفاد (ذو حظ عظيم) الحظ العظيم من الخير سجيته وملكته كما اقتضته إضافة (ذو) وحاصل ما أشار إليه الجملتان أن مثلك من يتلقى هذه الوصية وما هي بالأمر الهين لكل أحد.

***

من آية المؤمن الصبر على الضراء والشكر في السراء

قال الله تعالي: ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ الآية رقم 33 من سورة الشوري.. [103]

والرواكد: جمع راكدة : والركود :الاستقرار والثبوت.

والظهر: الصلب للإنسان والحيوان. ويطلق على أعلى الشيء إطلاقا شائعا.

يقال:ظهر البيت . أي سطحه. وتقدم في قوله تعالي:

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾..

وأصله استعارة فشاعت حتي قاربت الحقيقة . فظهر البحر سطح مائه البادي للناظر كما أطلق ظهر الأرض على ما يبدو منها.

(103) المجلد العاشر ، الجزء الخامس والعشرون صـ 105.

قال تعالي: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾

وجعل ذلك آية لكل صبار شكور لأن في الحالتين خوفا ونجاة. والخوف يدعو إلى الصبر.

والنجاة تدعو إلى الشكر. والمراد: أن في ذلك آيات لكل مؤمن متخلق بخلق الصبر علي الضراء والشكر للسراء فهو يعتبر بأحوال الفلك في البحر اعتباراً يقارنه الصبر أو الشكر.

وإنما جعل ذلك آية للمؤمنين لأنهم الذين ينتفعون بتلك الآية فيعلمون أن الله منفرد بالألوهية بخلاف المشركين فإنها تمر بأعينهم فلا يعتبرون بها .

***

الصبر مزية وخير للمؤمنين

قال الله تعالي:﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ الآية رقم 43 سورة الشورى .. [104]

وهذه الجملة تفيد بيان مزية المؤمنين الذين تحملواْ الأذى من المشركين وصبروا عليه.. ولم يؤخذواْ به من آمن ممن أذوهم مثل أخت عمر بن الخطاب قبل إسلامه ومثل صهره سعيد بن زيد فقد قال : لقد رأيتني وأنا عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر . فكان في صبر سعيد خير دخل به عمر في الإسلام . ومزية المؤمنين الذين يصبرون علي ظلم إخوانهم ويغفرون لهم .

فلا ينتصفون منهم ولا يستعدون عليهم على نحو ما تقدم في مسألة التحلل عند قوله تعالي:﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾.

***

(104) المجلد العاشر ، الجزء الخامس والعشرون صـ 122 .

بصبر أولي العزم من الرسل نصرهم الله

قال الله تعالي: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ الآية رقم 35 من سورة الأحقاف .. (105)

تفريع علي ما سبق في هذه السورة من تكذيب المشركين رسالة محمد ﷺ بجعلهم القرآن مفتري واستهزائهم به وبما جاء به من البعث ابتداء من قوله ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴾ وما اتصل به من ضرب المثل لهم بعاد. فأمر الرسول ﷺ بالصبر علي ما لقيه منهم من أذي .. وضرب له المثل بالرسل أولي العزم ويجوز أن تكون الفاء فصيحة والتقدير : فإذا علمت ما كان من الأمم السابقة وعلمت كيف انتقمنا منهم وانتصرنا برسلنا فاصبر كما صبروا .

وأولوا العزم: أصحاب العزم أي المتصفون به .

والعزم : نية محققة على عمل أو قول دون تردد قال تعالي : ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

وقال: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾..

وقال سعد بن ناشب من شعراء الحماسة يعني نفسه.

إذا همّ ألقي بين عينيه عزمه .. ونكب عن ذكر العواقب جانبا.

---

(105) المجلد العاشر ، الجزء السادس والعشرون صـ 66 .

والعزم المحمود في الدين: العزم على ما فيه تزكية النفس وصلاح الأمة وقوامة الصبر علي المكروه وباعث التقوى.

وقوته شدة المراقبة بأن لا يتهاون المؤمن عن محاسبته نفسه قال تعالي: ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾

وقال: ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴾. وعلى هذا تكون (من) في قوله (من الرسل) تبعيضية..

وعن ابن عباس أنه قال: كل الرسل أولو عزم، وعليه تكون (من) بيانية.

وهذه الآية : اقتضت أن محمدا رسول الله ﷺ من أولي العزم؛ لأن تشبيه الصبر الذي أمر به بصبر أولي العزم من الرسل يقتضي أنه مثلهم لأنه ممتثل أمر ربه فصبره مثيل لصبرهم ومن صبر صبرهم كان منهم لا محالة وأعقب أمره بالصبر بنهيه عن الاستعجال للمشركين أي الاستعجال لهم بالعذاب .

أي لا تطلب منا تعجيله لهم، وذلك لأن الاستعجال ينافي العزم ولأن في تأخير العذاب تطويلا لمدة صبر الرسول ﷺ بكسب عزمه قوة.

***

علم الله يتعلق بأعمال الناس

قال الله تعالي: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ الآية رقم 31 من سورة محمد.. (106)

عطف علي قوله ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ ومعناه بمعنى الاحتراس مما يتوهم السامعون من قوله ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ من الاستغناء عن التكليف ووجه هذا الاحتراس أن علم الله يتعلق بأعمال الناس بعد أن تقع ويتعلق بها. قبل وقوعها فإنها ستقع ويتعلق بعزم الناس علي الاستجابة لدعوة التكاليف قوة وضعفا ومن عدم الاستجابة كفراً وعناداً فبين بهذه الآية أن من حكمة التكاليف أن يظهر أثر علم الله بأحوال الناس وتقدم الحجة عليهم ولما قال النبي ﷺ:

إن الله كتب لكل عبد مقعده من الجنة أو من النار. فقالوا: أفلا نتكل علي ما كتب لنا؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له. وقرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾.

والبلوى: الاختبار وتعرف حال الشيء . والمراد بالابتلاء الأمر والنهي في التكليف فإنه يظهر به المطيع والعاصي والكافر.

وسمي ذلك ابتلاء علي وجه المجاز المرسل . لأنه يلزمه الابتلاء وإن كان المقصود منه إقامة مصالح الناس ودفع الفساد عنهم لتنظيم أحوال حياتهم ثم ليترتب عليه منال الحياة الأبدية في الآخرة.

(106) المجلد العاشر ، الجزء السادس والعشرون صـ 123 .

ولكن لما كان التكليف مبينا لأحوال نفوس الناس في الامتثال وممحصا لدعاويهم وكاشفا عن دخائلهم كان مشتملا علي ما يشبه الابتلاء وإلا فإن الله تعالى يعلم تفاصيل أحوالهم . ولكنها لا تظهر للعيان للناس إلا عند تلقي التكاليف فأشبهت الاختبار.

فإطلاق اسم الابتلاء علي التكليف : مجاز مرسل وتسمية ما يلزم التكليف من إظهار أحوال النفوس ابتلاء استعارة، ففي قوله (ولنبلونكم) مجاز مرسل واستعارة.

و(حتى) حرف انتهاء فما بعدها غاية للفعل الذي قبلها، وهي هنا مستعملة في معني لام التعليل تشبيها لعلة الفعل بغايته ، فإن غاية الفعل باعث لفاعل الفعل في الغالب . فلذلك كثر استعماله ..

(حتى) بمعني لام التعليل كقوله تعالي: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ ﴾ .

فالمعني : ولنبلونكم لنعلم المجاهدين منكم والصابرين . وليس المراد انتهاء البلوى عند ظهور المجاهدين منهم والصابرين.

وعلة الفعل لا يلزم انعاكسها. أي لا يلزم ألاّ يكون للفعل علة غيرها، فللتكليف علل وأغراض عديدة منها أن تظهر حال الناس في قبول التكليف ظهوراً في الدنيا تترتب عليه معاملات دنيوية.

وعلم الله الذي جعل علة للبلوى هو العلم بالأشياء بعد وقوعها المسمى علم الشهادة؛ لأن الله يعلم من سيجاهدون ومن يصبر من قبل أن يبلوهم، ولكن ذلك علم الغيب لأنه قبل حصول المعلوم في عالم الشهادة.

***

الصبر من محاسن الخلق

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الآيتان رقم 4و5 من سورة الحجرات.. (107)

معني قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ أنه يكسبهم وقاراً بين أهل المدينة ويستدعي لهم الإقبال من الرسول ﷺ إذ يخرج إليهم غير كاره لندائهم إياه ورفع أصواتهم في مسجده ﷺ فكان فيما فعلوه جلافة .

فقوله: (خيرا) يجوز أن يكون اسم تفضيل.

ويكون المعنى: لكان صبرهم أفضل من العجلة، ويجوز أن يكون اسماً ضد الشر. أي لكان صبرهم خيرا لما فيه من محاسن الخلق بخلاف ما فعلوه فليس فيه خير.

وعلي الوجهين فالآية تأديب لهم وتعليمهم محاسن الأخلاق وإزالة العوائد الجاهلية الذميمة . وإيثار (حتى) في قوله (حتى تخرج) إليهم دون (إلى) لأجل الإيجاز بحذف حرف (إن) فإنه ملتزم حذفه بعد (حتى) بخلافه بعد (إلى) فلا يجوز حذفه .

***

(107) المجلد العاشر ، الجزء السادس والعشرون صـ 224 .

★ أمر ﷺ بالصبر على أذى المكذبين فنصره الله

قال الله تعالي: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴾ الآية رقم 39 من سورة(ق) (108)

تفريع علي ما تقدم كله من قوله: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ ﴾ الآيات

ومناسبة وقعه هذا الموقع ما تضمنه قوله: ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ ﴾ الآية من التعريض بتسلية النبي ﷺ.

أي فاصبر علي ما يقوله المشركون من التكذيب بما أخبرهم من البعث وبالرسالة وقد جمع ذلك كله الموصول (ما يقولون) وضمير (يقولون) عائد إلى المشركين الذين هم المقصود من هذه المواعظ والنذر ابتداء من قوله: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ ﴾..

***

(108) المجلد العاشر ، الجزء السادس والعشرون صـ 326.

الصبر والجزع لا يخففان من عذاب المكذبين

قال الله تعالي: ﴿ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ الآية رقم 16 من سورة الطور .. [109]

وجملة اصلوها مستأنفة وهي بمنزلة النتيجة المترقبة عن التوبيخ والتغليظ السابقين أي ادخلوها فاصطلوا بنارها يقال : صلى النار يصلاها إذا قاس حرها.

والأمر في (اصلوها) إما مكنى به عن الدخول؛ لأن الدخول لها يستلزم الاحتراق بنارها. وإما مستعمل مجازا في التنكيل.

وفرع علي (اصلوها) أمر للتسوية بين صبرهم علي حرها وبين عدم الصبر وهو الجزع لأن كليهما لا يخففان عنهم شيئا من العذاب ألا تري أنهم يقولون:

﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴾ ؛ لأن جرمهم عظيم لا مطمع في تخفيف جزائه.

(وسواء عليكم) مؤكدة لجملة (فاصبروا أو لا تصبروا) فلذلك فصلت عنها ولم تعطف وجملة ﴿ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ تعليل لجملة (اصلوها) إذ كلمة (إنما) مركبة من (إن) و (ما) الكافة .. فكما يصح التعليل بأن وحدها كذلك يصح التعليل بها مع (ما)الكافة..

وعليه فجملتا ﴿ فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ ﴾ معترضتان بين جملة

(109) المجلد الحادي عشر ، الجزء السابع والعشرون صـ 43.

(اصلوها) والجملة الواقعة تعليل لها ..

والحصر المستفاد من كلمة (إنما) قصر قلب بتنزيل المخاطبين منزلة من يعتقد أن ما لقوه من العذاب ظلم لم يستوجبوا مثل ذلك من شدة ما ظهر عليه من الفزع وعدي (تجزون) إلي (ما كنتم تعملون) بدون الباء خلافا لقوله بعده

﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ليشمل القصر مفعول الفعل المقصور .

أي تجزون مثل عملكم لا أكثر منه فينتفي الظلم عن مقدار الجزاء كما انتفى الظلم عن أصله، ولهذه الخصوصية لم يعلق معمول الفعل بالباء إذ جعل الجزاء بمنزلة نفس الفعل .

***

مزاعم المشركين باطلة والله ناصر النبي ﷺ

قال الله تعالي: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ الآية رقم 48 من سورة الطور.. (110)

عطف علي جملة: ﴿ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴾ وما بينهما اعتراض وكان مفتتح السورة خطابا للنبي ﷺ من قوله تعالي: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴾ المسوق مساق التسلية له .

وكان في معظم ما في السورة من الأخبار ما يخالطه في نفسه ﷺ من الكدر والأسف على ضلال قومه وبعدهم عما جاءهم به من الهدي وختمت السورة بأمره بالصبر تسلية له وبأمره بالتسبيح وحمد الله شكرا له علي تفضيله بالرسالة

والمراد بـ (حكم ربك) ما حكم به وقدره من انتفاء إجابة بعضهم ومن إبطاء إجابة أكثرهم.

فاللام في قوله (لحكم ربك) يجوز أن تكون بمعني (علي) فيكون لتعدية فعل (اصبر) كقوله تعالي: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ويجوز فيها معنى إلى أي اصبر إلى أن يحكم الله بينك وبينهم فيكون في معنى قوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ ﴾..

ويجوز أن تكون للتعليل فيكون (لحكم ربك) ما حكم به من إرساله إلى الناس أي اصبر لأنك تقوم بما وجب عليك. فللام في هذا الموقع جامع لا يفيد غير اللام مثله.

(110) المجلد الحادي عشر ، الجزء السابع والعشرون.

والتفريع في قوله : ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ تفريع العلة على المعلول (اصبر) لأنك بأعيننا أي بمحل العناية والكلاءة منا. نحن نعلم ما تلاقيه وما يريدونه بك فنحن نجازيك علي ما تلقاه ونحرسك من شرهم وننتقم لك منهم وقد وفي بهذا كله التمثيل في قوله ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ فان الباء للإلصاق المجازي أي لا نغفل عنك يقال: هو بمرأي مني ومسمع أي لا يخفي علي شأنه وذكر العين تمثيل لشدة الملاحظة وهذا التمثيل كناية عن لازم الملاحظة من نصر والجزاء والحفظ ..

***

الناقة أية وفتنة لهم

قال الله تعالي: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴾ الآية رقم 27 من سورة القمر.. (111)

إرسال الناقة إشارة إلي قصة معجزة صالح أنه أخرج لهم ناقة من صخرة وكانت تلك المعجزة مقدمة الأسباب التي عجل لهم العذاب لأجلها فذكر هذه القصة في جملة البيان توطئة وتمهيد والإرسال مستعار لجعلها آية لصالح ﷺ . وقد عرف خلق خوارق العادات لتأييد الرسل باسم الإرسال في القرآن كما

قال تعالي: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ فشبهت الناقة بشاهد أرسله الله لتأييد رسوله، وهذا مؤذن بأن في هذه الناقة معجزة وقد سماها الله آية في قوله حكاية عنهم وعن صالح: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ إلي آخره..

و(فتنة لهم) حال مقدرة أي تفتنهم فتنة هي مكابرتهم في دلالتها على صدق رسولهم وتقدير معني الكلام : إنا مرسلو الناقة آية لك وفتنة لهم ..

وضمير (لهم) عائد إلي المكذبين منهم بقرينة إسناد التكذيب كما تقدم.

(111) المجلد الحادي عشر ، الجزء السابع والعشرون صـ 199.

واسم الفاعل من قوله: ﴿ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ ﴾ مستعمل في الاستقبال مجازا بقرينة قوله: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ﴾ فعدل علي أن يقال : «سنرسل» إلى صيغة اسم الفاعل الحقيقة في الحال لتقريب زمن الاستقبال من زمن الحال.

والارتقاب : الانتظار ارتقب مثل رقب وهو أبلغ دلالة من رقب لزيادة المبني فيه . وعدي الارتقاب إلى ضميرهم علي تقدير مضاف يقتضيه الكلام لأنه لا يرتقب ذواتهم وإنما يرتقب أحوالا تحصل لهم . وهذه طريقة إسناد أو تعليق المشتقات التي معانيها لا تسند إلي الذوات فتكون على تقدير مضاف اختصارا في الكلام اعتمادا على ظهور المعنى .

وذلك مثل إضافة التحريم والتحليل إلي الذوات في قوله تعالى :

﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ ﴾ والمعنى: فارتقب ما يحصل لهم من الفتنة عند ظهور الناقة.

والإصطبار: الصبر القوي، وهو كالارتقاب أيضا فيكون أقوى دلالة من الصبر أي اصبر صبراَ لا يعتريه ملل ولا ضجر. أي اصبر علي تكذيبهم ولا تيأس من النصر عليهم، وحذف متعلق (اصطبر) ليعم كل حال استعدي الضجر والتقدير واصطبر علي أذاهم وعلي ما تجده في نفسك من انتظار النصر .

***

الله ناصر النبي ﷺ

قال الله تعالي: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴾ الآية رقم 48 من سورة القلم .. (112)

تفريع علي ما تقدم من إبطال مزاعم المشركين ومطاعنهم في القرآن والرسول ﷺ وما تبعه من تكفل الله لرسوله ﷺ . بعاقبة النصر، وذلك أن شدته على نفس النبي ﷺ من شأنها أن تدخل عليه يأسا من حصول رغبته ونجاح سعيه.

ففرع عليه تثبيته وحثه علي المصابرة واستمراره علي الهدي ، وتعريفه بأن ذلك التثبيت يرفع درجته في مقام الرسالة ليكون من أولي العزم.

فذكره بمثل يونس عليه السلام إذ استعجل عن أمر ربه.

فأدبه الله ثم اجتباه وتاب عليه وجعله من الصالحين تذكيرا مرادًا به التحذير.

والمراد بحكم الرب هنا أمره وهو ما حمله إياه من الإرسال والاضطلاع بأعباء الدعوة، وهذا الحكم هو المستقر من آيات الأمر بالدعوة التي أولها .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ إلي قوله ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ ، فهذا هو الصبر المأمور به في هذه الآية أيضا .

ولا جرم أن الصبر لذلك يستدعي انتظار الوعد بالنصر وعدم الضجر من تأخيره إلي أمده المقدر في علم الله..

وصاحب الحوت: هو يونس بن متى النبي المرسل من قِبل الله تعالى..

***

(112) المجلد الثاني عشر ، الجزء التاسع والعشرون صـ 104 .

اصبر صبراً جميلاً

قال الله تعالي: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ الآية رقم 5 من سورة المعارج .. [113]

اعتراض مفرع : إما على ما يومئ إليه ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ من أنه سؤال استهزاء فهذا تثبيت للنبي ﷺ ..

وإما على ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾: دعا داع، فالفاء لتفريع الأمر بالصبر على جملة ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ إذا كان ذلك السؤال بمعنية استهزاء وتعريضا بالتكذيب فشأنه ألاَّ تصبر عليه النفوس في العرف.

والصبر الجميل : الصبر الحسن في نوعه هو الذي لا يخالطه شيء مما ينافي حقيقة الصبر، أي اصبر صبرا محضا .

فإن جمال الحقائق الكاملة بخلوصها عما يعكر معناها من بقايا أضدادها .

وقد مضي قوله تعالي عن يعقوب ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ في سورة يوسف..

***

(113) المجلد الثاني عشر ، الجزء التاسع والعشرون صـ 157.

أمر النبي ﷺ بهجر المشركين

قال الله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ الآية رقم 10 من سورة المزمل ..[114]

عطف علي قوله ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ والمناسبة أن الصبر على الأذى يستعان عليه بالتوكل علي الله وضمير يقولون عائد إلي المشركين ولم يتقدم له معاد فهو من الضمائر التي استغني عن ذكر معادها بأنه معلوم للسامعين ومن ذلك عند

قوله تعالي: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾ ، فيبين المراد من الضمير ..

والهجر الجميل: هو الحسن في نوعه فإن الأحوال والمعاني منها حسن ومنها قبيح في نوعه. وقد يقال: كريم وذميم. وخالص وكدر. ويعرض الوصف للنوع بما من شأنه أن يقترن به من عوارض تناسب حقيقة النوع، فإذا جردت الحقيقة عن الأعراض التي قد تتعلق بها كان نوعه خالصا، وإذا ألصق بالحقيقة ما ليس من خصائصها كان النوع مكدرا قبيحا.

وقد أشار إلي هذا في قوله تعالي: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ ومن هذا المعنى قوله تعالى : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ في سورة يوسف ..

(114) المجلد الثاني عشر ، الجزء التاسع والعشرون صـ 267.

وقوله : ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴾ في سورة المعارج ..

فالهجر الجميل هو الذي يقتصر صاحبه علي حقيقة الهجر وهو ترك المخالطة فلا يقرنها بجفاء آخر أوأذي ، ولما كان الهجر ينشأ عن بعض المهجور أو كراهية أعماله كان معرضا لأن يتعلق به أذى من سب أو ضرب أو نحو ذلك .. فأمر الله رسوله هجر المشركين هجرا جميلا أي يهجرهم ولا يزيد علي هجرهم سبا أو انتقاما..

وهذا الهجر: هو إمساك النبي ﷺ عن مكافأتهم بمثل ما يقولونه مما أشار إليه قوله تعالي: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ .

وليس منسحبا على الدعوة للدين فإنها مستمرة ولكنها تبليغ عن الله تعالى فلا ينسب إلى النبي ﷺ ..

وقد انتزع فخر الدين الرازي من هذه الآية منزعا خلقيا بأن الله جمع ما يحتاج إليه الإنسان في مخالطة الناس في هاتين الكلمتين لأن المرء إما أن يكون مخالطا فلابد له من الصبر علي أذاهم وإيحاشهم .

لأنه إن أطمع نفسه بالراحة معهم لم يجدها مستمرة فيقع في الغموم إن لم يرض نفسه بالصبر علي أذاهم . وإن ترك المخالطة فذلك هو الهجر الجميل.

***

يا أيها النبي المدثر اصْبِر لحكم ربك

قال الله تعالي :﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ الآية رقم 7 من سورة المدثر .. [115]

تثبيت للنبي ﷺ على تحمل ما يلقاه من أذى المشركين وعلى مشاق الدعوة ..

والصبر : ثبات النفس وتحملها المشاق والآلام ونحوها .

ومصدر الصبر وما يشتق منه يتضمن معنى التحمل للشئ الشاق.

ويعدى فعل الصبر إلي اسم الذي يتحمله الصابر. بحرف (على) يقال : صبر علي الأذى . ويتضمن معني الخضوع للشئ الشاق فيعدى إلى اسم ما يتحمله الصابر باللام ومناسبة المقام ترجح إحدى التعديتين فلا يقال : اصبر على الله ويقال : اصبر علي حكم الله أو لحكم الله .

فيجوز أن تكون اللام في قوله (لربك) لتعدية فعل الصبر على تقدير مضاف .

أي اصبر لأمره وتكاليف وحيه كما قال :﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾..

في سورة الطور، وقوله: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا ﴾.

في سورة الإنسان، فيناسب نداءه بـ(يا أيها المدثر) لأنه تدثر من شدة وقع رؤية الملك..

وترك ذكر المضاف لتذهب النفس إلى كل ما هو من شأن المضاف إليه مما يتعلق بالمخاطب..

***

(115) المجلد الثاني عشر ، الجزء التاسع والعشرون صـ 299.

المؤمنون بصبرهم لبسوا الحرير وسكنوا الجنة

قال الله تعالى: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾. الآية رقم12من سورة الإنسان. (116)

وجملة ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ عطف علي جملة (فوقاهم) وجملة (ولقاهم) لتماثل الجمل الثلاث في الفعلية والمعنى: وهما محسنان من محسنات الوصل..

والحرير : اسم لخيوط من مفرزات دودة مخصوصة.

وكان الجزاء برفاهية العيش إذ جعلهم في أحسن المساكن وهو الجنة وكساهم أحسن الملابس وهو الحرير الذي لا يلبسه إلا أهل فرط اليسار، فجمع لهم حسن الظرف الخارج وحسن الظرف المباشر وهو اللباس، والمراد بالحرير هنا ما ينسج منه.

***

(116) المجلد الثاني عشر ، الجزء التاسع والعشرون صـ 387.

★ المشركون بعداء عن الإسلام والنبي ﷺ أمر بالصبر عليهم

قال الله تعالي: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ الآيتان 23 و24 من سورة الإنسان.. [117]

وعدي فعل (اصبر) باللام لتضمين الصبر معنى الخضوع والطاعة للأمر الشاق.

وقد يعدي بحرف (على) كما قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ومناسبة مقام الكلام ترجح إحدى التعديتين كما تقدم بيان ذلك عند قوله تعالي:

﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ في سورة المدثر ..

ولما كان من ضروب إعراضهم عن قبول دعوته ضرب فيه رغبات منهم مثل أن يترك قرعهم بقوارع التنزيل من تأفين رأيهم وتحقير دينهم وأصنامهم.

وربما عرضوا عليه الصهر معهم أو بذل المال منهم أعقب أمره بالصبر على ما هو من ضروب الإعراض من صلابة وشدة . بأن نهاه عن أن يطيعهم في الضرب الآخر من ضروب الإعراض الواقع في قالب اللين والرغبة.. وفي هذا النهي تأكيد للأمر بالصبر لأن النهي عنه يشمل كل ما يرفع موجبات الصبر المراد هنا.

(117) المجلد الثاني عشر ، الجزء التاسع والعشرون صـ 402 .

والمقصود من هذا النهي تأيسهم من استجابته لهم حين يقرأ عليهم هذه الآية لأنهم يحسبون أن ما عرضوه عليه سيكون صارفا له عما هو قائم به من الدعوة إذ هم بعداء عن إدراك ماهية الرسالة ونزاهة الرسول ﷺ ..

***

الصبر ملاك الأعمال الصالحة

قال الله تعالي: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ الآية رقم 17 من سورة البلد.. (118)

فعطف ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ على الجمل المسوقة للتوبيخ والذم يفيد أن هذا الصنف من الناس أو هذا الإنسان المعين لم يكن من المؤمنين . وأنه ملوم على ما فرط فيه لانتفاء إيمانه، وأنه لو فعل شيئا من هذه الأعمال الحسنة ولم يكن من الذين آمنوا ما نفعه عمله شيئا لأنه قد انتفى عنه الحظ الأعظم من الصالحات كما دلت عليه (ثم) من التراضي الرتبي فهو مؤذن بأنه شرط في الاعتداد بالأعمال .

وعن عائشة أنها قالت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم الطعام ويفك العاني ويعتق الرقاب ويحمل على إبله لله .

(أي يريد التقرب) فهل ينفعه ذلك شيئا قال: (لا .. إنه لم يقل يوما رب اغفرلي خطيئتي يوم الدين) . ويفهم من الآية بمفهوم صفة الذين آمنوا أنه لو عمل هذه القرب في الجاهلية وآمن بالله حين جاء الإسلام لكان عمله ذلك محمودا ..

ومن يجعل (ثم) مفيدة للتراضي في الزمان يجعل المعنى (لا اقتحم العقبة) وأتبعها بالإيمان . أي اقتحم العقبة في الجاهلية وأسلم لما جاء الإسلام وقد جاء ذلك صريحا في حديث حكيم بن حزام في الصحيح قال : قلت يا رسول الله :رأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم ، فهل فيها من أجر؟ فقال لي النبي ﷺ : (أسلمت على ما سلف من خير) والتحنث التعبد: يعني أن دخوله في الإسلام أفاد إعطاء ثواب على أعماله كأنه عملها في الإسلام وقال ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾

(118) المجلد الثاني عشر ، الجزء الثلاثون صـ 355 .

دون أن يقول : ثم كان مؤمنا؛ لأن كونه من الذين آمنوا أدل علي ثبوت الإيمان من الوصف بمؤمن، لأن صفة الجماعة أقوى من أجل كثرة الموصوفين بها، فإن كثرة الخير خير .

وخص بالذكر من أوصاف المؤمنين تواصيهم بالصبر وتواصيهم بالمرحمة لأن ذلك أشرف صفاتهم بعد الإيمان. فإن الصبر ملاك الأعمال الصالحة كلها؛ لأنها لا تخلو من كبح الشهوة النفسانية وذلك من الصبر.

والمرحمة ملاك صلاح الجماعة الإسلامية قال تعالى :﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ ..

والتواصي بالرحمة : فضيلة عظيمة : وهو أيضا كناية عن اتصافهم بالمرحمة؛ لأن من يوصي بالمرحمة هو الذي عرف قدرها وفضلها فهو يفعلها قبل أن يوصي بها (وفيه تعريض بأن أهل الشرك ليسوا من أهل الصبر ولا من أهل المرحمة) وقد صرح في ذلك قوله تعالي:

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾..

وقوله : ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾..

***

التواصي بالحق والصبر من عمل الصالحين

قال الله تعالي:﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ آيات 1و2و3سورة العصر.. (119)

وعطف علي عمل الصالحات: التواصي بالحق والتواصي بالصبر وإن كان ذلك من عمل الصالحات، وهو عطف الخاص علي العام للاهتمام به؛ لأنه قد يغفل عنه ويظن أن العمل الصالح هو ما أثره عمل المرء في خاصته ، فوقع التنبيه علي أن من العمل المأمور به إرشاد المسلم غيره ودعوته إلى الحق . فالتواصي بالحق يشمل تعليم حقائق الهدي، وعقائد الصواب وترويض النفس علي فهمها بفعل المعروف وترك المنكر.

والتواصي بالصبر عطف علي التواصي بالحق عطف الخاص علي العام أيضا ،وإن كان خصوصه خصوصا من وجه ؛ لأن الصبر تحمل مشقة إقامة الحق وما يعترض المسلم من أذى في نفسه في إقامة بعض الحق .

وحقيقة الصبر أنه: منع المرء نفسه من تحصيل ما يشتهيه، أو من محاولة تحصيلها إن كان صعب الحصول فيترك محاولة تحصيله لخوف ضر ينشأ عن تناوله كخوف غضب الله أو عقاب ولاة الأمور، أو لرغبة في حصول نفع منه كالصبر علي مشقة الجهاد والحج رغبة في الثواب والصبر علي الأعمال الشاقة رغبة في تحصيل مال أو سمعة أو نحو ذلك.

وأما تحمل مشقة فعل المنكرات كالصبر علي تجشم السهر في اللهو والمعاصي والصبر على بشاعة طعم الخمر لشاربها فليس من الصبر لأن ذلك لتحمل منبعث عن رجحان اشتهاء تلك المشقة على كراهية المشقة التي تعترضه في تركها .

(119) المجلد الثاني عشر ، الجزء الثلاثون صـ 528.

وقد اشتمل قوله تعالي: ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾ علي إقامة المصالح الدينية كلها فالعقائد الإسلامية والأخلاق الدينية .. مندرجة في الحق والأعمال الصالحة وتجنب السيئات مندرجة في الصبر..

والتخلق بالصبر ملاك فضائل الأخلاق كلها، فإن الارتياض بالأخلاق الحميدة لا يخلو من حمل المرء نفسه على مخالفة شهوات كثيرة ففي مخالفاتها تعب يقتضي الصبر عليه حتي تصير مكارم الأخلاق ملكة لمن راض نفسه عليها .

كما قال عمرو بن العاص :

إذا المرء لم يترك طعاما يحبه .... ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

فيوشك أن تلقى له الضهر سبة .... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وكذلك الأعمال الصالحة كلها لا تخلو من إكراه النفس على ترك ما يميل إليه

وفي الحديث : (حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات)

وعن علي بن أبي طالب: (الصبر مطية لا تكبو) .

★ السور التي ذكرت بها كلمة الصبر

أو ما يشتق منها في القرآن الكريم

الرقم	اسم السورة	الرقم	اسم السورة
1	البقرة	23	لقمان
2	آل عمران	24	السجدة
	النساء		الأحزاب
3	الأنعام	25	سبأ
4	الأعراف	26	الصافات
	الأنفال		ص
5	يونس	27	الزمر
6	هود	28	غافر
7	يوسف	29	فصلت
	الرعد		الشورى
8	إبراهيم	30	الأحقاف
9	النحل	31	محمد
	الكهف		الحجرات
10	مريم	32	ق
11	طه	33	الطور
12	الأنبياء	34	القمر
	الحج		القلم
13	المؤمنون	35	المعارج
14	الفرقان	36	المزمل
	القصص		المدثر
15	العنكبوت	37	الإنسان
	الروم	38	البلد
			العصر

وهذا الفهرس موضوع بترتيب سور القرآن الكريم، ثم ترتيب الآيات التي توجد بها كلمة الصبر، أو ما يشتق منها. داخل كل سوره (بالشكل التالي):

السورة	رقمها	رقم الآية في المصحف	نص الآية	رقم المجلد	رقم الجزء	رقم الصفحة في التفسير
البقرة	2	45	﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾	1	الأول	477
البقرة		61	﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡ﴾	1	الأول	520

البقرة		153	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾	1	الثاني	52
البقرة		155	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾	1	الثاني	56
البقرة		175	﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾	1	الثاني	124

127	الثاني	1	﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾	177		**البقرة**

البقرة		249	﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	1	الثاني	495
البقرة		250	﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾	1	الثاني	495

آل عمران	3	17	﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾	2	الثالث	183
آل عمران		120	﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾	2	الرابع	68
آل عمران		125	﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾	2	الرابع	72
آل عمران		142	﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ)﴾	2	الرابع	105

آل عمران		146	﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	2	الرابع	115
آل عمران		186	﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾	2	الرابع	189
آل عمران		200	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾	2	الرابع	207

النساء	4	25	﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	2	الخامس	12

الأنعام	6	34	﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	3	السابع	200
الأعراف	7	87	﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾	4	الثامن	239
الأعراف		126	﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾	4	التاسع	52

الأعراف		128	﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	4	التاسع	57
الأعراف		137	﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾	4	التاسع	77
الأنفال	8	46	﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾	5	العاشر	29

الأنفال		64-65	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾	5	العاشر	66
الأنفال		66	﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	5	العاشر	69
يونس	10	109	﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾	5	الحادي عشر	310

هود	11	11	﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾	5	الثاني عشر	15
هود		49	﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾	5	الثاني عشر	92
هود		115	﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	5	الثاني عشر	182
يوسف	12	18	﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	6	الثالث عشر	238

يوسف		83	﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾	6	الثالث عشر	41
يوسف		90	﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	6	الثالث عشر	47
الرعد	13	22	﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾	6	الثالث عشر	124

الرعد		24	﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾	6	الثالث عشر	131
إبراهيم	14	5	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾	6	الثالث عشر	188
إبراهيم		12	﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾	6	الثالث عشر	201

إبراهيم		21	﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾	6	الثالث عشر	215
النحل	16	42	﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾	6	الرابع عشر	157
النحل		96	﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	6	الرابع عشر	270

النحل		110	﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	6	الرابع عشر	298
النحل		126	﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾	6	الرابع عشر	335
النحل		127	﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾	6	الرابع عشر	336

الكهف		28	﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا﴾	6	الخامس عشر	306
الكهف		67	﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا﴾	6	الخامس عشر	368
الكهف	18	68	﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرًا﴾	6	الخامس عشر	368
الكهف		69	﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا﴾	6	الخامس عشر	368
الكهف		72	﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا﴾	6	الخامس عشر	376

الكهف		75	﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾	7	السادس عشر	5
الكهف		78	﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾	7	السادس عشر	9
الكهف		82	﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾	7	السادس عشر	10
مريم	19	65	﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾	7	السادس عشر	141

طه	20	130	﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾	7	السادس عشر	335
طه		132	﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾	7	السادس عشر	342
الأنبياء	21	85	﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾	7	السابع عشر	128
الحج	22	35	﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	7	السابع عشر	260

المؤمنون	23	111	﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾	8	الثامن عشر	128
الفرقان	25	20	﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾	8	الثامن عشر	344
الفرقان		42	﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾	8	التاسع عشر	31
الفرقان		75	﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾	8	التاسع عشر	84

القصص	28	54	﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	8	العشرون	144
القصص		80	﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾	8	العشرون	184
العنكبوت	29	59	﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	8	الحادي والعشرون	23
الروم	30	60	﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾	8	الحادي والعشرون	135
لقمان	31	17	﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾	8	الحادي والعشرون	164

لقمان		31	﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾	8	الحادي والعشرون	188
السجدة	32	24	﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾	8	الحادي والعشرون	237

الأحزاب	33	35	﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾	9	الثاني والعشرون	19

سبأ	34	19	﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَـٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَـٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَـٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾	9	الثاني والعشرون	176
الصافات	37	102	﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَـٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾	9	الثالث والعشرون	149
ص	38	6	﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾	9	الثالث والعشرون	210
ص		17	﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾	9	الثالث والعشرون	266

ص		44	﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾	9	الثالث والعشرون	275
الزمر	39	10	﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾	9	الثالث والعشرون	351
غافر	40	55	﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾	9	الرابع والعشرون	170
غافر		77	﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾	9	الرابع والعشرون	207

فصلت	41	24	﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾	9	الرابع والعشرون	273
فصلت		35	﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾	9	الرابع والعشرون	294
الشورى	42	33	﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ﴾	10	الخامس والعشرون	105
الشورى		43	﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾	10	الخامس والعشرون	122

الاحقاف	46	35	﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	10	السادس والعشرون	66
محمد	47	31	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾	10	السادس والعشرون	123
الحجرات	49	5	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	10	السادس والعشرون	224
ق	50	39	﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾	10	السادس والعشرون	326

الطور	52	16	﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾	11	السابع والعشرون	43
الطور		48	﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾	11	السابع والعشرون	83
القمر	54	27	﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةً لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ﴾	11	السابع والعشرون	199
القلم	68	48	﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٌ﴾	12	التاسع والعشرون	104
المعارج	70	5	﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا﴾	12	التاسع والعشرون	157
المزمل	73	10	﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرًا جَمِيلًا﴾	12	التاسع والعشرون	267

المدثر	74	7	﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾	12	التاسع والعشرون	299
الإنسان	76	12	﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾	12	التاسع والعشرون	387
الإنسان		24	﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا﴾	12	التاسع والعشرون	402
البلد	90	17	﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾	12	الثلاثون	355
العصر	103	3	﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾	12	الثلاثون	528

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ، الرحمة المهداة والنعمة المسداه اللهم صلّ وسلم عليه ما تلاحمت الغيوم وتعاقبت النجوم، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد

القارئ الكريم

فيما سبق يتضح لنا أن الصبر متى رسخ في قلب الإنسان واستعمله في موضعه كان دليلاً على قوة إيمانه بالله، والعاقل من آمن بأن هذه الحياة التي نعيشها ، صراع بين الحق والباطل ، ونزاع بين الخير والشر، وحينما يطول الليل وتستحكم الأحداث والمكاره بنا ، فلا أمل في انكشافها إلا بقوة إيماننا بالله واحتمالها بصبر لا شكوى فيه وثبات وشجاعة وعزيمة قوية وعقل مستنير وحكمة بالغة .

لأن هذه الحياة التي نحياها في دار الدنيا ليست حياة خلود بل هي عمل وجهاد وابتلاء وفراق وفناء ولهذا يلزم منا اليقظة الدائمة .

لأن البعض يتوهمون أن الصبر استسلام للواقع الأليم والرضى بالهوان والضعف والسكوت عن معالجة الأمور ، وعدم القيام بالواجب .

وهذا توهم باطل ، وغير صحيح ولا أساس له من الدين والعقل السليم .

ولكن الصبر المطلوب من المؤمن هو الذي مدحه الله تعالى في كتابه الكريم هو الصبر الذي يحمل صاحبه على بذل أقصى الجهد لعمل الفضائل والبعد عن الرذائل وعلى السعي في الأرض بالطرق الشريفة ، ليجلب المنافع التي أحلها الله والتعاون مع الخير على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان ، ويرفع صاحبه لتخطي العقبات وتحمل المشاق .

من أجل نشر الرخاء والسلام فالصبر ليس معناه الرضا بالهوان . وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ ﴾ [آل عمران]

وجاء في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**» .

اللهم اجعل كتابك لنا هاديًا ودليلاً، وأوردنا من حوض نبيك وردًا نقيًا خالصًا سلسبيلا .

ونسألك يا الله أن تبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ، اللهم أكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، واجعل عواقب أمورنا إلى خير ، وقنا عذاب النار يا أرحم الراحمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين . كما نسألك يا الله أن تجعلنا جميعًا من عبادك الصابرين .

عبد النبي بشار

المراجع و المصادر

أولا: القرآن الكريم.

ثانيًا: اختبر معلوماتك الاسلامية واللغوية مع القرآن الكريم سين وجيم. (1425هـ - 2004م) مكتبه الصفا.تأليف الأستاذ/أحمد عبد العال الطهطاوي (الطبعة الأولي).

ثالثًا: تفسير التحرير و التنوير تأليف سماحة الأستاذ الأمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الناشر دار سحنون للنشر والتوزيع العنوان.

نهج هولا نده (1000) تونس الجمهورية التونسية.

رابعًا: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين تأليف الإمام أبي زكريا يحي بن مشرف النووي الدمشقي 631-676هـ.

تحقيق الأستاذ/محمد عصام الدين أمين (مكتبه الإيمان المنصورة أمام جامعة الأزهر)

خامسا: ماذا تعرف عن القرآن الكريم و النبي ﷺ تأليف الأستاذ/أحمد عبد العال الطهطاوي مكتبه الصفا الطبعة الأولي 1424هـ 2003 م.

سادسًا: نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب وهو ما جمعه الشريف الرضي شرح الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا الناشر دار الفجر للتراث. القاهرة خلف الجامع الأزهر .

سابعًا: موقع جامع الزيتونة:

http://www.ezzitouna.org/001 3.html

ثامنًا: موقع دي في دي عرب.

http://dvd4arab.maktoob.com/archive/index.php

المؤلف في سطور



الاسم / عبد النبي محمد عباس بشار ولد في الثامن. من فبراير 1950م بمحافظة الدقهلية. بقرية كفر الشنهاب . مركز المنصورة وتبعد

هذه القرية عن مدينة المنصورة تسعة كيلو مترات.

- حفظ القران الكريم في سن مبكرة .

- حصل علي الشهادة الابتدائية. ثم التحق بالمعهد الديني الإعدادي والثانوي الأزهري بمدينة المنصورة.

بعد حصوله علي الشهادة الثانوية الأزهرية عمل مدرساً للتربية الإسلامية واللغة العربية بمدرسة شجرة الدر . والإعدادية الحديثة بمدينة المنصورة.

- تخرج في كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر الشريف عام1981م.

- وعقب تخرجه مباشرة عمل بالمحاماة.

- عين بوزارة الثقافة باحث قانوني.

- سافر إلي الجمهورية العربية اليمنية للعمل بالتدريس.

- سافر إلي المملكة العربية السعودية للعمل بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (مدقق فني) بالمدينة المنورة.

- ثم عاد للعمل بوزارة الثقافة بوظيفة مدير ثقافي وإمام وخطيب بوزارة أوقاف الدقهلية .

(بالمكافأة) وبناء على طلبه نقل للعمل بالهيئة العامة لمحو الأمية مدير الشئون القانونية.

ثم مديرًا العلاقات العامة بشمال سيناء. وله أحاديث بإذاعتها من أجل القضاء علي الأمية وله مقالات كثيرة بمجلة (اقرأ) التي تصدر عن الهيئة.

حضر دورات متعددة بالمركز الإقليمي (أسفك) بسرس الليان.

اعتمد محاضراً للخريجين الراغبين العمل بفصول محو الأمية أكثر من عشر سنوات.

عمل مديراً عاماً لخدمة المواطنين بالهيئة حتي 2010/2/7 أحيل للمعاش.

الفهرس